

الباب الثالث

ويحتوي على ثلاثة فصول:

الفصل الأول: الحب ماء الحياة

الفصل الثاني: إعادة الدفء العاطفي

الفصل الثالث: حميمية اللقاء الزوجي

في كل لحظة يلتقي زوجان.. تسعد الأنثى بأنوثتها، تعشق دورها،
تنثني وتتلذذ بأداء هذا الدور..

وكذلك يزدهي الرجل ويتحمس ويقوى لأداء دوره.. يظلهما سقف
واحد.. يُغلق دونها باب.. ينجبان ويسعدان بتوفيق الله لهما أن وهبهم
القدرة على أن يها الحياة حياة..

ولا شك أن هناك العديد من المهارات التي تؤدي ممارستها إلى إشاعة
الحب، وإحياء الانسجام بين الزوجين..

ولأن هذه المهارات - مع الأسف - لا يعلمها للأزواج أحد، فقد
أصبح لدى الكثيرين منهم مناطق قصور فيها، أورثت بيوتهم شقاقاً
ونفوراً، وأنتجت بيوتاً، يقف أصحابها فاغرين أفواههم من الابتسام أمام
الناس، ثم هم بعد ذلك يعيشون حياة تعيسة بسبب عدم إحسان شريك
الحياة إشباع رغباتهم، والوصول بالعلاقة الزوجية إلى الحميمة التي يبقى
معها الحب..!!

ومن هنا كان هذا الباب، محاولة لتعلم هذه المهارات ؛ حتى يتفهم كل
إنسان - رجل و امرأة - بقلبه وعقله وروحه المعاني العظيمة، التي تحملها
كلمتي المودة والرحمة.. التي جعلها الله: «بين الزوجين..» ﴿وَجَعَلَ
بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ «بينكم».. وليس «لكم» ؛ ليؤكد سبحانه أنها
مسألة تبادلية بين الزوج والزوجة، ولا تتحقق إلا بالطرفين.. ومن خلال
الصور العملية لتحقيق الانسجام الزوجي..

﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا ذُرِّيَّتَنَا فَرَةً أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ
إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤].

الفصل الأول

حينما يشعر النبات بنور الشمس في الصباح، فإنه يبدأ في الشعور بالحياة..
 وحينما يشعر شريك الحياة بقلب شخص حنونٌ محب ؛ فإنه يشعر كذلك
 بالحياة..

إنه الحب.. ذلك الذي يساعد الإنسان على احتمال كل مصاعب الحياة.. ففي
 دفء الحب، وغمرة الحياة الزوجية السعيدة، تذوب كل ثلوج الحياة.. وما يخفف
 قسوة العيش ومرارة الحياة سوى الحب، ففيه عبير كل ورود الدنيا، وفيه أريج عطر
 يريح النفس.. وفي كنف الحب، يصبح عش الزوجية واحة الدفء والأمل، ومصدر
 الوفاء والعطاء..

وإن كان المال هو زينة الحياة، فإن الحب هو الحياة نفسها..!! والأزواج السعداء
 هم الذين يتعاملون بحب وحنان، ويتفهمون اختلاف كل منهما عن الآخر..
 ويمنحون الأمل لبعضهم البعض.. ويعملون معًا حتى يحصلون على مستقبل
 مشترك رائع.. ومن هنا كان هذا الفصل، الذي نحاول فيه أن نتعلم كيف نحب
 شريك الحياة؟ وكيف نحترمه؟ وكيف نعيش معه في جو من التآلف، وفي إطار من
 المودة والرحمة؟.



الحب.. كلمة حانية رِقْراقة امتلأت دواوين الشعراء بالحديث عنها.. وقيمة
 إنسانية رفيعة، يبحث عنها كلٌ منا؛ حتى يستقر على شاطئ حبيبه ليغمض عينيه في
 أمان..

«الحب.. ماء الحياة، بل سرُّها.. هو لذة الروح، بل روح الوجود.. بالحب تصفو الحياة وتشرق النفس.. ولولا الحب ما التف الغصن على الغصن، ولا بكى الغمام على جذب الأرض».^(١)

«ولولا الحب ما دارت الأفلاك، ولا تحركت الكواكب النيرات !!، ولا هبت الرياح المسخرات !!، ولا مرت السحاب الحاملات !!، ولا تحركت الأجنة في بطون الأمهات !! ولا انصدع عن الحب أنواع النبات، واضطربت أمواج البحار الزاخرات، ولا تحركت المدبرات والمقسمات !! ولا سبحت بحمد فاطرها الأرض والسموات !! وما فيها من أنواع المخلوقات».^(٢)

ومن هنا كانت «عواطف الحب والإعجاب، وما يصاحبها من أفكار وأعمال وسلوك.. كل تلك المشاعر ليست حراماً، والحكم عليها هو الحكم على كل عمل آخر، وكل شعور في حياة المسلم.. الحكم مستمد من قانون الكون.. وهل تؤدي تلك المشاعر الدور الذي يتفق مع فطرة الكون؟ أم تنحرف عن الطريق؟

فأما إن كانت تلك العواطف والمشاعر - وهي فطرية في صميم الخلقة - تهدف إلى تحقيق هدف الحياة، تهدف إلى ارتباط شقيّ الإنسانية في علاقة نظيفة مثمرة منتجة، تهدف إلى تقوية كيان كل من الشّقين، ودفعه في طريق الصعود، فهي طبيعية.

وأما إن كانت عبثاً، لا يسعى إلى غايته الطبيعية، بل يجعل من نفسه غاية مستقلة منفصلة عن كيان الحياة.. فهي مرفوضة بنفس قوة رفض الإسلام لفكرة أن الجنس عملية بيولوجية خالصة، وهدف يتحقق في ذاته بصرف النظر عن أية علاقة وأي ارتباط».^(٣)

(١) زوجي أنت السبب - محمد بن صالح بن اسحاق - ص ٢٤ .

(٢) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي - ابن القيم - ص ٢٢٠، ٢٢١ .

(٣) منهج التربية الإسلامية - محمد قطب - ج ٢ ص ٧٥، ٧٦ بتصرف يسير .

لقد أقر النبي ﷺ بالحب كحقيقة واقعة ..

عندما رأى عبداً يجري وراء جارية، وهو يبكي، فقال لأبي بكر: «انظر يا أبا بكر، ودعا الجارية فجاءت فقال لها: «أتزوجه؟» قالت: يا رسول الله، أأمر أم تشفع؟ قال: بل أشفع، قالت: إذن لا أتزوجه». [رواه البخاري].

فنحن نرى إقرار النبي ﷺ لواقع الحب، من خلال تعجبه من حال العبد دون إنكار عليه، بل وطلبه من الجارية أن تتزوجه، وأيضاً من خلال قبوله رفض الجارية للزواج من العبد، ومراعاة مشاعرها رغم شفاعته النبي في ذلك..

واقراً معي هذه الرسالة من المحب لمن أحب ..

فهذا العاصي بن الربيع زوج زينب بنت النبي - صلى الله عليه وسلم - يخرج من مكة فراراً من الإسلام، فتبعث إليه ليرجع إلى مكة، ويدخل في الإسلام، فيبعث إليها برسالة هذا بعض نصها: والله ما أبوك عندي بمتهم، وليس أحب إليّ من أن أسلك معك، يا حبيبة، في شعبٍ واحد، ولكنني أكره لك أن يقال إن زوجك خذل قومه، فهلا عذرتي وقدرتي.

وواضح من الرسالة أن العاصي كان يحب زينب بدليل أنه يود ويجب أن يكون معها في طريق واحد أيما كان الطريق، كما أنه كره لها أن يقال فيها ما يضايقها، ثم إنه في النهاية طلب منها أن تعذر وتقدر..

وانظر كيف دخلت زوجة الطفيل في الإسلام؟

يدخل الطفيل بن عمرو الدوسي في الإسلام فتأتي امرأته، لكي تقترب منه، فيمنعها ويقول لها: لقد أصبحت على حرام، قالت: ولم؟ قال: أسلمتُ، فكان ردّها: أنا منك وأنت مني وديني دينك، وأسلمتُ..

وواضح من هذا الرد أنها اعتنقت الإسلام، من خلال إحساسها بزواجها،

حيث قالت: أنا منك وأنت مني، وأخذت من إحساسها أساس اعتناقها للإسلام عندما قالت: وديني دينك.

وتأمل كيف طلبت زوجة ثابت بن قيس طلاقها من زوجها؟

أتت حبيبة بنت سهل زوجة ثابت بن قيس بن شماس - رضي الله عنه - إلى رسول الله ﷺ، فقالت: يا رسول الله، ثابت بن قيس ما أعتب عليه في خلق ولا دين، ولكنني أكره الكفر في الإسلام، فقال ﷺ: أتردين عليه حقيقته؟ قالت: نعم، قال ﷺ لثابت: «اقبل الحديقة، وطلقها تطليقة».

وفي رواية قالت: يا رسول الله، إني لا أعتب على ثابت في دين ولا خلق، ولكنني لا أطيقه، وفي لفظ ثالث: ما أنقم على ثابت في دين ولا خلق، إلا أني أخاف الكفر...

والمراد بالكفر في الحديث: كفران العشير، وهو تقصير المرأة في حق الزوج، وعدم قيامها بما يجب له عليها، ويحتمل أن تكون أرادت أنها تكره - إن قامت عنده - أن تقع فيما يقتضي الكفر...

بل تأمل ما هو أبعد من ذلك...!!

روى الترمذي أن رجلاً يقال له: «مرثد» كان يحمل الأسرى من مكة، حتى يأتي بهم المدينة، وكان له صديقة يقال لها: «عناق»، وهي امرأة بغي.. وقد واعد مرثد رجلاً من أسارى مكة ليحمله، وأن عناقاً حين رآته قالت: مرثد؟ فقال: مرثد.

فقالت: مرحباً وأهلاً، هلم فبت عندنا الليلة.

فقال مرثد: يا عناق، إن الله حرم الزنا.

فقالت: يا أهل الخيام، هذا الرجل يحمل أسراكم، فتبع ثمانية من الرجال مرثد، حتى دخل إلى غار أو كهف، فجاءوا حتى قاموا على رأسه فبالوا فظل بولهم على

رأسه، فأعماهم الله عنه...

فلما أتى مرثد المدينة، قال لرسول الله _ صلى الله عليه وسلم _: أنكح عناقاً - أنكح عناقاً؟ مرتين..

فأمسك النبي ﷺ فلم يرد شيئاً، حتى نزلت: ﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾.. فقال رسول الله ﷺ: «يا مرثد، الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة، فلا تنكحها». [رواه أبو داود والنسائي].

وواضح من الحادثة كيف أن مرثد أراد الزواج من المرأة رغم كفرها وبغائها، بل ومحاولتها جمع الناس لقتله... وواضح أيضاً كيف ألحَّ في طلب زواجها.. وكل ذلك إنما يدل على أن «مرثد» كان متعلقاً بها وجدائياً. أليس كذلك؟

وإذن فالحب حقيقة إنسانية واقعة، بل إنها تؤثر على الفكر والسلوك..

ولكن اعترافنا بالحب كحقيقة إنسانية واقعة، لا يحمل أي إقرار للانحراف السلوكي به في واقعنا.

ذلك الانحراف الذي يذهب بعقل من أحب؛ فيندفع بكل طاقته الإنسانية نحو مَنْ أحبَّها؛ حتى تصبح هي قضيته ورسالته في الحياة، بديلاً عن رسالته التي خلقه الله لأجلها، رسالة العبودية له _ سبحانه وتعالى _ !!

ولهذا نسمع من يقول: أحبها إلى حد «العبودية»!!!!

إن من يجب بهذا الشكل المنحرف لمعنى الحب، إذا فشل في حبه إمّا أن يُصاب بالجنون لطغيان إحساسه بمن أحب على عقله وواقعه، أو يُصاب بالانطواء، ورفض كل العلاقات بالآخر؛ لأنه يرفض حياته بدون مَنْ أحب، أو يتحرق كصورة أخرى من صور رفض الحياة التي لا يتصورها إلا من خلال علاقته بمن أحب!!!

وهنا يكمن الخطر الحقيقي للانحراف بمعنى الحب وحقيقته، فحين يمارسه الإنسان بهذا الشكل المنحرف، يعجز تمامًا عن أن يكون صاحب رسالة^(١). وهذا الحب - بلا شك - حب بغيض، بل هو جحيم يكره كل عاقل أن يسقط فيه..

وهذا هو الحب في واقع المجتمعات غير الإسلامية.. لأن هذه المجتمعات تعاني فراغًا نفسيًا وعاطفيًا ووجدانيًا، وذلك لعدة أسباب، منها:

- أن الله تعالى كتب المعيشة الضنك على من أعرض عنه.
- أن الله تعالى خلق القلوب لا تطمئن إلا به، فمن ترك الله، فقد ضلّ وشقى.
- أن المتحايين - في غير الله - حبهم قائم على المصلحة وحب التملك، فهي تقوم على مجرد إشباع الرغبة العاطفية للنفس دون هدف أو مغزى..!!
- أن العلاقات الاجتماعية فيما بينهم علاقات مزيفة واهية مقطوعة، فهم كومة من الأفراد تجمعهم المصلحة الفردية.
- ومن ثم يقع الفراغ النفسي والعاطفي بين أفراد تلك المجتمعات...!! فتضطرب قلوبهم وتتعدّب نفوسهم، ولا تهدأ ولا تسكن ولا تطمئن لشيء.
- وحين تقع علاقة حب بين أفراد من تلك المجتمعات، فإن هذا لا يعني سوى إثبات الذات في واقع الفراغ، ولا يعني أي معنى للحب الحقيقي الصادق الذي مصدره حب الله تعالى، فهو شعور مزيّف، ناتج من مرض الجفاف العاطفي الموحش الذي ينتشر في مثل تلك المجتمعات..
- إن القلوب التي لم تطمئن إلى بارئها، وتأنس به، وتشتاق إليه، وتحب من أجله

(١) راجع إن شئت "بيت الدعوة" رفاعي سرور - ص ١٤ - ٤٥ بتصرف .

هو وحده.. إن هذه القلوب لا تعرف..

﴿ معنى الحب.. ﴾

الحب هو أقوى رغبة للروح، وهو طاقة روحية وفطرية تجمع الطاقات الإنسانية جميعاً، وهو المشاعر والعواطف التي يشعر بها الإنسان وتمنحه السعادة والهناء.

والحب معنى يحسه كل إنسان ويؤثر في كيانه، ويختلف مدلوله في المجتمع الإسلامي عنه في المجتمعات الأخرى.. فمدلول الحب في المجتمع الإسلامي له شأن عميق وأثر كبير، فهو يعني الصدق والدوام في علاقات حقيقية تجمع بين أفراد. وهو ميدان واسع شامل يفيض بأحاسيس شتى، كلها مؤثر، وكلها جميل. إنه يشمل كل الوجود.. يشمل علاقة الإنسان بربه. وعلاقته بالكون والحياة.. وعلاقته بكل البشرية..

فأما الحب الإلهي فهو أساس كل حب..

هذا الحب، بما يفيض على النفس من أنوار شفافة راقية، وبما يوسع من آفاقها حتى تشمل الوجود كله، وبما يرفع من كيانه حتى تصبح وكأنها نور خالص مشرق متألئ، لا تدخله عتامة الجسد ولا ثقله الطين.. إنه عجيبة من عجائب الأحاسيس البشرية.. وإنه لفي القمة من هذه الأحاسيس.

ومضة واحدة من هذا النور الإلهي تشرق على قلب إنسان.. ومضة واحدة في لحظة خاطفة.. تفعل في النفس ما لا تفعله أجيال من التجارب والأحاسيس «والثقافات» والاطلاعات، التي توسّع مدارك النفس وتعمّق صلاتها بالكون والحياة.

ومضة خاطفة كومضة البرق.. تضيء صفحة الكون كله في باطن النفس.. وتصل الإنسان بكل عمقه واتساعه وشموله، الذي لا يعيه في أحواله العادية ولا يدرك حقيقة مداه.. تصله بالحقيقة الكبرى الخالدة، صلة تصل إلى أعماقه، وتنفذ إلى

أبعد ذرات وجوده، وتمتزج بكل وشيجة حيّة في النفس، فإذا هي و النفس شيء واحد ممتزج الكيان..

هذه الومضة.. هذه الارتعاشة الوجدانية الواصلة.. هذه الصلة العميقة بحقيقة الوجود.. هذه الانتفاضة المشرقة التي تشع من خلال الطين المعتم فيتلاً وينير.. هذه الإشراقة الرائقة التي تضيء للإنسان طريقه بين الأشواك، أشواك الشر والباطل والظلام.. هي الحب الإلهي الصادق الذي يمارسه الإنسان السوي، ولو مرة واحدة في حياته المليئة بشتى المشاعر والانفعالات.

وهذا الحب «قلّمَا استطاعت العبارة أن تصوره إلا في فلتات قليلة من كلام المحبين.. وهذا هو الباب الذي تفوق فيه الواصلون من رجال التصوف الصادقين - وهم قليل من بين ذلك الحشد الذي يلبس مسوح التصوف، ويعرف في سجلهم الطويل - ولا زالت أبيات رابعة العدوية تنقل مذاقها الصادق لهذا الحب الفريد، وهي تقول:

وَأَمَّا حُبُّ الْكَوْنِ..

فهو لون من ألوان الحب يمثل جزءاً من واقع الإنسان الحيّ الذي يعيشه، والمتمثل في الكون بجباله وأنهاره ووديانه وأرضه وسماواته، ونجومه وكواكبه.. هو حب يجعل الإنسان يدرك أن الجمال في هذا الكون مقصود كالكمال.. «مشهد النجوم في السماء جميل، ما في هذا شك، جميل جمالاً يأخذ بالقلوب، وهو جمال متجدد تتعدد ألوانه بتعدد أوقاته، ويختلف من صباح إلى مساء، ومن شروق إلى غروب، ومن الليلة القمرء إلى الليلة الظلماء. ومن مشهد الصفاء إلى مشهد الضباب والسحاب. بل إنه يختلف من ساعة لساعة. ومن مرصد لمرصد. ومن

زاوية لزاوية.. كله جمال يأخذ بالألباب..»

«هذه النجمة الفريدة التي توصوص هناك وكأنها عين جميلة، تلتمع بالمحبة والنداء !!

وهاتان النجمتان المنفردتان هناك، وقد خلصتا من الزحام تتناجيان.
وهذه المجموعات المتضامة المتناثرة هنا وهناك، وكأنها في حلقة سمر في مهرجان السماء، وهي تجتمع وتفترق كأنها رفاق ليلة في مهرجان !!
وهذا القمر الحالم الساهي ليلة، والزاهي والمزهو ليلة، والمنكسر الخفيض ليلة، والوليد المتفتح للحياة ليلة، والفاني الذي يدلف للفناء ليلة !!.....
إنه الجمال.. الجمال الذي يملك الإنسان أن يعيشه ويمتأله ؛ ولكن لا يجد له وصفاً فيما يملك من الألفاظ والعبارات !!»^(١)

وحب الكائنات الحية..

وهو لون من ألوان الحب يخطر في النفس السوية..
وصاحب هذا الحب يجد نشوته في التطلع إلى النبتة الصغيرة، تشق طريقها من الطين، والورقة النابتة من البرعم، والزهرة النابتة من الكمم، والثمرة اليانعة..
والتطلع إلى الحيوان الوليد يتبع أمه، وأمه تدله وتحنو عليه، والحيوان الرشيق يجري مختالاً مزهواً برشاقتة، والحيوان الكاسر الجسور.. والتطلع إلى الطير صفات ويقبضن، بما لها من ألوان زاهية وحركات رشيقة..

وحب البشرية..

وهو لون آخر من ألوان الحب، تفيض به النفس السوية..
إنه الحب الذي لا يتجه إلى صديق معين ولا صاحب ولا منفعة.. وإنما يشمل

(١) في ظلال القرآن - سيد قطب - ج ٦ ص ٣٦٣٣، ٣٦٣٤ بتصرف يسير.

الناس جميعًا بمودة لطيفة، تحب لهم الخير، وتحس نحوهم بوشائج القربى والأخوة الودودة..

إنه الحب العام الذي يعمر النفوس، فلا يدع فيها مكانًا للبغضاء أو الحقد، الذى يجعل هذه النفوس نزاعةً إلى الاجتماع والعطف، تتلقى كل مظهر من مظاهر الحياة بالقبول والرفق، فالإنسان الذى يستشعر الحب يودُّ لو يشمل هذا الحب الكون كله.. يشمله بالحنان، وكذلك بالتعاطف والود والتراحم..

﴿وَمَا حَبُّ الْأَرْوَاحِ الْمَتَأَلِّفَةِ..﴾

فهو لون، بل ألوان من الحب، تعرفه جيدًا النفس السوية المطمئنة، وهو بما فيه من إشرافات حاملة، ورحمة ندية، وأنسٍ لطيف ودود، وعاطفة قوية، تملأ مشاعرهم وتحرك وجدانهم يمثل لونًا جميلًا في لوحة الحب الرائعة.

إن من نعم الله علينا أنه أعطانا أنواعًا من الحب الذى ترتوي به قلوبنا، بداية بحب الله، ثم حب الوالدين والإخوة والأبناء والزوج.. ليكون كل أولئك متصرفًا لذلك الحب الشامل ومظاهر له لا تستوعبه.. ولكن تدلُّ عليه ؛ لأنه أكبر من أن ينحصر في بعضها أو فيها جميعًا. ولذلك فإن ما نراه من المودة والألفة، التي بين الناس هو من رحمة الله، والحب الذى يجمع بين الزوجين من رحمة الله، فمنع الحب ومصدره من رحمة الله التي كرم بها خلقه، فلولا الرحمة لما وُجد الحب، ولما وُجدت المودة.. ولم يكن هناك عطفٌ أو حنان يظلل الزوجين والأولاد..

فالحب وظيفة ربانية أودعها الله _ تبارك وتعالى _ بين عباده، ولذلك.. يجب على المتحابين، أن يكون حبُّهم كما أراد الله، لا كما تريده أهواؤهم.. وكما أراد رسول الله ﷺ لا كما تطلبه نفوسهم.. وأن يدركوا الفرق بين الحب والتعلق؟

إن الله سبحانه جعل حبه مصدر كل حب، وبدونه لا يكون هناك حب.. ومن ثم فإن تعلق القلب بشخص معين، مبدأ ترفضه شريعة الله في الحب؛ لأن القلب تعلق بغير الله، وهذا يعنى خللاً يجب استدراكه !!

كما أن هذا «التعلق» يمثل خللاً في النفس لا بد من علاجه ؛ لأن النفس لكي تكون مؤهلة لحب صادق وحقيقي ؛ لا بد أن تتخلص الروح من سيطرة المادة، ومن الانجذاب إلى الأرض، وترتقي الروح إلى أعلى - متعلقة بالله تعالى - لتصل إلى مرحلة التوازن النفسي.. عندها يطمئن القلبُ وتسكن النفسُ، ويكون الإنسان مؤهلاً لهذا التفاعل الإنساني الراقي الذي لا يمكن للإنسان أن يصل إليه، إلا من خلال التخلص من كل العوائق والعوائق التي تلم بنفسه ؛ لتطمئن إلى محبوب واحد، هو الله الذي يمنحها الحب الصادق والحياة الطيبة.

إن تعلقَ القلوب بأي أحد - أيًا كان - بعد أن اطمأنت إلى محبوبها الأعلى، هو اختبار يمحّص الله به القلوب ويزكّي به النفوس لتخلص له سبحانه، وخير مثال نذكره هنا هي حادثة الخليل مع خليله، حين امتحن الله سبحانه إبراهيم الخليل بذبح ولده، والمراد ذبحه من قلبه، لا ذبحه بالسكين، فلما أسلم لأمر الله، وقدم محبة الله تعالى على محبة الولد، خلّص مقام الخلة والحب وفدى الولد بالذبح - عليهم صلوات الله أجمعين - فتخللت المحبة كل أجزاء الروح. (١)

وهذا هو معنى الحب الحقيقي في واقع الحياة. يرفض مبدأ التعلق بأي أحد - أيًا كان - ويُقر شريعة الله في الحب.. ومن ثم فهو يقيم الحب بين الزوجين على أساس حب الله، ويجعل غذاء هذا الحب والذي يبقيه على قيد الحياة هو حب الله ولذلك، فإن الأساس الذي يقوم عليه الحب بين الزوجين، والغذاء الذي يبقى هذا الحب على قيد الحياة هو «حب الله» فهو سبحانه وتعالى الذي جعل بين الزوجين مودة ورحمة و حسن الصلة به - عز وجل - هي الأساس لتعميق الحب بين الزوجين..

إن الزواج بين المؤمنين والمؤمنات في المجتمع الإسلامي، يحمل علاقة خاصة ومتميزة وفريدة في كل المجتمعات البشرية، فالزوجين قبل أن تربطهما العلاقة

(١) راجع "إن شئت" روضة المحبين - ابن قيم الجوزية - ص ٤٨ بتصرف .

الزوجية، تجمعهم رابطة العقيدة، ورابطة الأخوة، ورابطة الولاء، ورابطة الهدف الواحد، فإذا زادت عليهما تلك الرابطة - رابطة الزوجية - فأى سكينه واطمئنان ورحمة وعطف ومودة رزقهم الله إياها..

إنها سكينه حب الله ورضاه بعد أن اطمأنت قلوبهم به.. إنها سكينه المودة التي جعلها سبحانه بينهم..

إنها حقاً الحياة الطيبة النديّة، التي لا يستحقها إلا من رزقه الله محبته.

إن الرجل حين يُحب يفتح قلبه، يشعر بثقة في قدرته على إحداث تغييرات جذرية في حياته.. يُصبح طليقاً من أغلال الأنانية ويصبح حراً؛ ليمنح المرأة التي أحبها كل ما يستطيع.

إنه يعيش رضا شريكته، وكأنه رضا الشخصي، ويمكنه أن يحتمل أي مشقة ليجعلها سعيدة، لأن سعادتها تجعله سعيداً..!!

«إنه يحب من الألوان ما رآه يوماً عليها، ويحب من السمات ما يقرب من سماتها، ويحب من الطرقات ما سارت مرة فيه، ويحب من الأماكن ما التقيا مرةً هناك..»^(١)

وكذلك المرأة حين تُحب فإنها تكون أكثر استعداداً للتضحية من أجله، بل إنها تحاول تشكيل نفسها لإشباع من أحبته، وتبذل ما تستطيع لتشعر أنها جديرة بحبه..

ولا شك أن هذه المشاعر النفسية المركبة التي يتوجه فيها كل من الرجل والمرأة تجاه الآخر بعمق واستمرار، ورقة عاطفية، هي «الحب».. ولكن هذا الحب لا سبيل إلى تطور العلاقة فيه إلى صورتها الكاملة إلا من خلال الزواج.. وهذا الزواج هو من آيات الله ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: ٢١].

(١) أشواك - سيد قطب .

فالله هو الذي خلق لهم من أنفسهم أزواجًا، وأودع في نفوسهم هذه العواطف والمشاعر، وجعل في تلك الصلة سكنًا للنفس والعصب، وراحةً للجسم والقلب، واستقرارًا للحياة والمعاش، وأنسًا للأرواح والضمائر، واطمئنانًا للرجل والمرأة على السواء.

وهو سبحانه خلق كلاً من الجنسين علي نحو يجعله موافقاً للآخر. ملبيًا لحاجته الفطرية: نفسية وعقلية وجسدية، بحيث يجد عنده الراحة والطمأنينة والاستقرار؛ ويجدان في اجتماعهما السكن والاكتفاء، والمودة والرحمة..

ومن ثم، فالحب بينهما تكامل كيان كل منهما، ليصبحا كياناً واحداً، ذات مشاعر راقية وعاطفة قوية دائمة، مستمدة طاقتها وحيوتها من محبة من يمنح تلك الطاقة وهذا الحنان في تلك القلوب.. كل ذلك من خلال الزواج، ذلك الرباط الشرعي الذي يؤكد وعدًا متبادلاً بين الزوجين، بتوجيه مشاعر كل منهما الحسية والمعنوية نحو شريك الحياة، والاستمرار إلى الأبد في منح السعادة، والتي هي أكبر هدية يمكن أن يتقاسمها حبيبان !!

إن الحب يتوسل بالزواج إلى إمتاع الحبيين وإسعادهما، وإنه ليستطيع ذلك..
لأنه يبني بهما..

بيت الحب..

بعد أن أخرج الإسلام من خلال تربيته الربانية نفساً إنسانية صالحة.. متصلة بخالقها، ومحقة لذاتها، تملك سعة في النفس، وطمأنينة في القلب، ورقياً في الشعور، وجمالاً في الروح، وطيبة في السلوك، وقوة في الحق..

يتحرك الإسلام ثانياً، ليجمع روحين وقلبين مطمئنين إلى الله.. فيجعل الله بينهما «مودة» في العلاقة العاطفية.. وهي أقوى من الحب الفطري بين الرجل والمرأة؛ لأن هذه المودة تُذيب كل منهما في الآخر، وتوحد طاقاتها في اتجاه واحد، وفي انسجام لترداد دفعة الحياة وحيويتها فيهما.. كما توحد أهدافهما وآمالهما

وشعورهما..

و«رحمة» من الناحية السلوكية تضيفي على الحياة رقة وسعادة.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: ٢١].

«إن الناس يعرفون مشاعرهم تجاه الجنس الآخر... ولكنهم قلما يتذكرون يد الله التي خلقت لهم من أنفسهم أزواجًا، وأودعت نفوسهم هذه العواطف والمشاعر، وجعلت في تلك الصلة سكنًا للنفس والعصب، وراحة للجسم والقلب، واستقرارًا للحياة والمعاش، وأنسًا للأرواح والضمائر، واطمئنانًا للرجل والمرأة على السواء»^(١).

«إن الذي خلق هذا الإنسان جعل من فطرته «الزوجية» شأنه شأن كل شيء في هذا الوجود» ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون...».. ثم شاء الله أن يجعل الزوجين في الإنسان شطرين لنفس واحدة، وخلق منها زوجها.. وأراد باللقاء شطري النفس الواحدة - بعد ذلك - فيما أراد، أن يكون هذا اللقاء سكنًا للنفس، وطمأنينة للروح..» من خلال الحب الذي يجمع بين الزوجين، ذلك الحب الذي هو أكمل وأجمل وأعظم رباط للحياة الزوجية؛ لأنه جوهر الحياة وأقوى روابطها..

إن «المشاعر الزوجية هي قمة الإحساس بالحب الإنساني، والحب بين الزوجين إطار محدد لا يعيش فيه إلا الزوجان، وهذا الفارق الجوهرى بين الحب الإنساني عمومًا، وبين المشاعر الزوجية قد بيّنه النبي ﷺ بقوله من ناحية الزوجة «إن للرجل في المرأة شيء ليس إلا له» من ناحية الزوج لزوجته فقد وضح عندما سئل النبي عن أحب الناس إليه فقال: «عائشة». قالوا: من الرجال، قال: أبوها. [رواه البخاري].

فالحب بين الزوجين هو أن يكون الزوج أحبَّ الناس إلى زوجته، والزوجة

(١) في ظلال القرآن - سيد قطب - ج ٥ ص ٢٧٦٣ .

أحب الناس إلى زوجها، وهذا يختلف عن مجرد الحب المتبادل الذي يكون بين الناس.. وهذا الحب بين الزوجين ليس مجرد سبب لقيام العلاقة الزوجية فقط، بل إن العلاقة الزوجية تعتبر مصدرًا ذاتيًا له؟!.

وهذا معناه أن مشاعر الحب تزداد بين الزوجين باستمرار هذه العلاقة، وهذا هو الذي جعل الحب سببًا أصليًا لحماية العلاقة الزوجية.

ولذلك جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ تطلب الطلاق من زوجها، ولم تكن بينهما فترة تكفي لتحقيق المودة القوية، فرفض رسول الله ﷺ هذا الطلاق قائلاً: « لا، حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك ». [رواه مسلم].

وتذوق العسيلة هو: الجماع أقوى منابع الحب إذا كان سليمًا في العلاقة الزوجية، وأخطر أسباب الفشل في تلك العلاقة إذا كان خطأ.. بدليل أن الرسول ﷺ أقر امرأة أخرى على الطلاق من زوجها لما فشل بينهما ذلك الحب، إذ قالت المرأة: يا رسول الله، إن فلانًا لا أعيب عليه خلقًا ولا دينًا، ولكن أكره الكفر بعد الإيثار^(١).

وإذن، فالحب «هو الأساس الذي يجب أن تُبنى عليه الحياة الزوجية، لكي تبقى الحياة قوية متينة، فإذا جاءت العواصف، وحلت الأزمات، لا يتزعزع هذا الأساس القوي الراسخ..

فالمال والجمال يزولان، ولكن يبقى الحب هو الرباط الذي تزيده الأيام صلابَةً ومثانةً.. نعم، قد تزول نضارة الشباب في الزوجة، ولكن كلماتها الرقيقة وابتساماتها الحلوة وتضحياتها الكبرى لن تزول^(٢).

إن هناك حقيقة إسلامية تؤكد «أثر القلب والإحساس على الفكر اتفاقًا واختلافًا، ومنطوق هذه الحقيقة هو قول الرسول ﷺ: «الأرواح جنود مجندة، ما تعارف منها ائتلف، وما تنافرت منها اختلف». [رواه مسلم رقم ٢٦٣٨].

(١) بيت الدعوة - رفاعي سرور - ص ٦١، ٦٢.

(٢) رحلة في أعماق حواء - انصاف نعيم - ص ١٦٨ بتصرف يسير.

كذلك فهناك حقيقة أخرى تؤكد أثر العقل والفكر على القلب والإحساس اتفاقاً واختلافاً، ومنطوقها قول الرسول ﷺ: «ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم» [أخرجه أبو داود ٣٦٤، ٣٦٥ / ٢].

ولما كان للزواج صلة مباشرة بإحساس الحب، وللاعتقاد صلة مباشرة بصفة التفكير، أصبحت هناك علاقة مباشرة بين الزواج والاعتقاد..

تأمل هذه الأمثلة..

- أم حكيم بنت الحارث بن هشام يوم الفتح بمكة، وهروب زوجها عكرمة بن أبي جهل من الإسلام حتى قَدِمَ اليمن، فارتحلت أم حكيم حتى قدمت عليه باليمن، فدعته إلى الإسلام، فقدم على رسول الله مسلماً.
- أم سليم يأتي أبو طلحة ليتزوجها، وهو مشرك، فتأبى وتقول له: إن أسلمت تزوجتك، وصادقي إسلامك، فأسلم، وتزوجته. [أخرجه النسائي].
- وإذا قرأنا كتب السيرة نجد الملاحظة العامة، هي أن الذين أسلموا كان إسلامهم غالباً من خلال تلك العلاقة، وهذا هو أثر الزواج على العقيدة من ناحية الحب..

وكما أن العلاقة الزوجية القائمة بالحب تعتبر أساساً للاتفاق في الاعتقاد والفكر، فإن هذا الاتفاق الفكري بثباته هو الذي يعطي للعلاقة الزوجية صفة الاستقرار، التي تحميها من أثر الفتور الوجداني، والتقلب النفسي الذي قد يعرض لتلك العلاقة.

إن الإنسان عندما يتزوج الإنسان يحقق السرور بالنظر إلى مَنْ اختارها زوجةً له «إذا نظرت إليها سرتك» وارتباط السرور بالنظر هو معنى الإحساس بالجمال، وبذلك أيضًا يعمق الزواج في النفس الإحساس بالجمال.

وعندما يتزوج الإنسان فإنه يكون قد حقق خير المتاع لنفسه في الحياة الدنيا،

وحقق خير المنافع لأن «الدنيا متاع، وخير متاعها المرأة الصالحة».^(١)

وهذه المرأة الصالحة هي رفيقة رحلة الحياة، وشريكة العمر، ورفيقة الكفاح، وصديقة العمر.. هي السكن الذي يسكن إليه الزوج ؛ فيطمئن قلبه إلى جوارها، فالصلة بينهما صلة السكن والقرار، صلة السر والتجمل.. صلة المودة والرحمة.. ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا﴾.

فقال سبحانه: ﴿أَزْوَاجًا﴾ ولم يقل نساء؛ أي: لا يتحقق إلا من علاقة زواج.. لا يتحقق إلا إذا تحولت المرأة إلى زوجة.

إذن الأصل في الحياة أن يكون هناك زواج. رجل مؤهل لأن يكون زوجًا، وامرأة مؤهلة لأن تكون زوجة. يذهب الرجل إلى المرأة ؛ لتصبح زوجته ليسكن إليها.. فإذا لم تكن زوجته فإنه من المستحيل أن تصبح سكنًا حقيقيًا له. ولذلك لا تصح العلاقة بين الرجل والمرأة إلا بالزواج، ولا يمكن للرجل أن ينعم بالسكن إلا من خلال الزواج..

ونكمل الآية ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾.. جاء السكن سابقًا على المودة والرحمة. إذ لا بد للإنسان أن يسكن أولاً، أن يختار المرأة الصالحة ويتقدم إليها ويتزوجها ليتحقق السكن. فإذا قام السكن جعلت المودة والرحمة. إذن لا يمكن أن تقوم المودة والرحمة إلا من خلال وفي إطار سكن، أي: من خلال وفي إطار زواج. والكلمات الربانية البليغة تقول: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ﴾ أي: أن الله هو الذي جعل ؛ أي: لا بد أن يكون. فطالما أنه زواج فلا بد أن يستمر على المودة والرحمة. هذا ضمان من الله لكل من أراد الزواج. فإذا أردت أن تسكن فلا بد أن تتزوج. وإذا تزوجت فلا بد أن تنعم بالمودة والرحمة. وبالتالي تصبح الزوجة هي أصل المودة وهي أصل الرحمة ؛ لأنها التي وفرت السكن، فلا دعامة لهذا السكن إلا بالمودة والرحمة.

وتأمل الكلمة الربانية الدقيقة ﴿بَيْنَكُمْ﴾ لم يقل - عز وجل - : جعل لكم،

(١) بيت الدعوة - رفاعي سرور - ص ٤٤ - ٤٨ بتصرف .

وإنما بينكم، وهي تعني أنها مسألة تبادلية، أي: يتبادلها الزوج والزوجة، أي: المودة والرحمة لا تتحققان إلا من الطرفين. أي: لا يمكن أن تكون من طرف واحد. لم يجعل الله الرجل ودودًا رحيماً وحده، ولم يجعل المرأة ودودًا رحيمةً وحدها. هذا لا يكفي، إنما لا بد من الاثنين معاً، ويتجه الرجل نحو المرأة طمعاً في السكن. ومن الذى يسكن؟ ليس الجسد، وإنما الروح، فروح الرجل تسكن إلى روح المرأة، ثم يطمع في المودة والرحمة؛ مودة المرأة ورحمتها، فتهبها له؛ أي: أن المرأة تسبق الرجل في مودتها ورحمتها، أي: هي الأساس وهي الأصل.

فإذا تلقى مودتها ورحمتها بادلها المودة والرحمة^(١). فكان بينهما الحب الزوجي الذي يؤلف قلبي الزوجين، ويوحد نفسيهما، ويمزج بين روحيهما، كما أن طول العشرة يزيد من حبهما «فقد عاشر النبي ﷺ عائشة - رضي الله عنها - تسع سنوات، فما قلَّ حبُّه لها، قالت عائشة: «قال رسول الله ﷺ في مرضه الذي مات فيه: «أين أنا غداً؟» يريد يوم عائشة، فأذن له أزواجه يكون حيث شاء، فكان في بيتها، وكانت عائشة تقول: «قبض رسول الله ﷺ في بيتي، وفي يومي، وبين سحري ونحري، وجمع الله بين ريقى وريقه عند الموت» [متفق عليه]^(٢).

«إن أصفى الحب وأعذب العشق وأرق الغرام وأحلى الهيام، ما ظهر بين الزوجين في الاهتمام المتبادل بشئون الطرف الآخر، ومتابعة أحواله والتضحية من أجله.. نعم، يظهر الحب بين الزوجين في ساعات الرضى والغضب وأوقات الصلح والخصام، وحتى في أوقات رعاية الأطفال..»^(٣) حيث يستشعر شريك الحياة حباً لشريكه لا تصفه الكلمات..

تأمل هذا التصوير من محب لمن أحبها:

(١) متاعب الزواج - د. عادل صادق - ص ١٨٢، ١٨٣.

(٢) لمن يريد الزواج.. وتزوج - فؤاد الصالح - ٦١، ٦٢.

(٣) مأخوذ من موقع www.saaaid.net

«ذهبتُ تُعنى بعشاء طفلها، ولم يلبث الطفل إلا قليلاً، حتى رنق الكرى عينيه فنام.. نام بين يديها، فانحنّت عليه بحنان ظاهر، ورفعته إلى كتفها في رفق، وربتت على ظهره في حنو، وتحركت نحو السرير ببطء..

ونظر إليها زوجها وهي تنيمه، فإذا مشهد فاتن.. هذه القسمات الحانية ذات الوجه الجميل، وهذه النظرات الرحيمة في هاتيك العينين الساحرتين، وهذه القبلة المديدة للطفل.. إنها الأمومة الكاملة.. هي الحب بأحلى معانيه»^(١).

إننا «حين نحب ؛ نتحوّل نحو الأفضل.. نتحوّل لنصير جديرين بهذا الحب.. يلمع بريق الحب في عيوننا بشكل أكبر من أي وقت مضى.. وتكون مشيتنا معبرة عن مقدار السعادة التي تغمرنا، حتى إن صوت كل منها يتغيّر فجأة ؛ فهو صوت الحب في داخلنا !!

.. تعلق وجوهنا الابتسامة ونكون لطفاءً إلى أبعد الحدود في تعاملنا مع شريك الحياة، ونصبح أكثر رفقا.. بل نصير أكثر قدرةً على العمل والإنجاز، وأكثر سعيًا نحو أهدافنا، ومن ثم نبلغ أهدافنا بسرعة أكبر..»^(٢).

وتدوم بيننا الحياة الطيبة، هذه الحياة التي لا تدوم بغير الحب.. الحب الذي به تدوم العشرة، وتحلو الحياة. الحب صمام الأمان، ودافع العطاء، وأكسير الحياة. به تتلاشى ذكريات الآلام بحقائق الأيام، وتحقق السعادة.. فالسعادة ليست هبةً توهب لنا، وليست غيثاً يهطل علينا من السماء.. وإنما السعادة شيء يتحقق حين نتقاسمه مع الآخر، وأول آخر في حياتنا هم شركاء حياتنا.. أولئك الذين يشاركوننا الحياة بحلوها ومرها.. فهل نتقاسم تلك السعادة مع شريك الحياة، وهل نبادله..

الحب المُطلق؟

(١) أشواك - سيد قطب .

(٢) بلوغ النجاح في الحياة الزوجية - كلاوديا إنكلمان - ص ٢٥٩ .

حبنا لشخص لكماله ليس حبًّا ؛ ولكن عندما نحبه رغم عيوبه .. فهذا هو الحب بكل تأكيد ؛ لأنه حب غير مشروط .. حب مطلق ..

الحب المطلق «هو الذي نحبه فيه الآخر دون القيود والشروط، نحبه كما هو و ليس كما نريد أن يكون ..

أما الحب المشروط، فهو الذى يحمل في حناياه «إذا» .. «أحبك إذا اشتريت لي خاتمًا» .. «أحبك متى ما عملت الذى أطلبه منك» .. «لو كنت فقط تحسّن سلوكك للأحبيتك» ..

إن هذا هو الحب المشروط، والذي عادة ما نتلقاه في الطفولة دون وعي من الوالدين بخطورته، إن هذا النوع من الحب ينشئ نفوسًا مشروطة تؤذى وتتأذى !! الحب يجب أن يكون غير مشروط، وأن يكون مقترنًا بالإيثار وإنكار الذات .. بل إن الحب لا يكون حبًّا إلا إذا لم يتوقع المحب بالضرورة حبًّا يقابله به محبوبه ..

«وحينما تحمل رياح الحب الإنسان إلى هذه المرحلة، فهنا سيكون قادرًا على رؤية الشخصية الفريدة المطلقة لمحبوبه، ليس من منطلق ما لديه، وإنما من منطلق ما هو بالفعل .. هنا يتعلق الأمر بالمحجوب بالدرجة الأولى، بصحته وسعادته .. إنه قبول للآخر كما هو، ودعّمه ليصير ذلك الشخص الذي يريد أن يصير إليه .. إن الحب الحقيقي، ليسأل هنا: ما هو الأفضل لحبيبي ؟ وما هو الأصح بالنسبة لنا معًا .. هنا يتعلق الأمر بصحة الآخر وسعادته !!

إنها نعمة أن يكون المرء محبوبًا من الآخر .. أمّا أن يحب المرء الآخر فهو جزاء طيب ..» (١)

ولذلك فإن «الحب غير المشروط هو أقصى تعبير عن الحب، ومضمونه: أنا أحبك لذاتك، ولا يجب أن تكون شخصًا مختلفًا لتنال حبي، ليس هناك أية شروط متعلقة بالحب .. لا يجب أن تُنقص وزنك، أو أن تكسب قدرًا معينًا من المال، أو أن

(١) المصدر السابق - ص ٢٦١، ٢٦٢ بتصرف .

توافق على كل ما أقوله لك، أو أن تتصرف وفق ما أريد، أو أن تشاركني كل أهدافي.. لأنني أحبك على كل حال»^(١).

...إننا غالباً ما نضع بعض الشروط لحبنا، فنقول مثلاً: يجب أن تتصرف بطريقة معينة لأبقى أحبك.. يجب أن تضعيني في أول اهتماماتك.. يجب أن تكون مخلصاً.. يجب أن تكون مثلي في طريقة التفكير.. الأولوية لأهدافي.. وهذا هو الحب المشروط..

أما الحب المطلق فهو، أن تحب شريك حياتك، مهما صدر منه فلا شيء يؤثر في حبك.. قد تختلف معه.. قد تنتقده... قد تحزن منه.. لكن حبك لا يتأثر!!

الحب المطلق أن تحب دون أن تؤثر التصرفات الطائشة في حبك!!، فلا تكره شريك حياتك بمجرد أنه غضب أو نسي موعداً أو تجاهل أمراً ما..

قد تكره التصرف نفسه؛ لكن ليس شريك الحياة، فهناك فرق، والقاعدة تقول: «فرق بين الفعل والفاعل» فالفاعل حبيبي.. والفعل تصرف خاطيء.. وهذه القاعدة جلييلة، وهي إحدى طرق السعادة والتغيير الفعال.

وحتى «لا يتآكل الحب بين الزوجين، فإن كل شريك لابد أن يحب شريكه حباً غير مشروط، حباً يركز على الإيجابيات ويتغافل عن السلبيات، ويصوب الخطأ دون تحقير أو استهزاء..»^(٢)

ويتجنب أن يقول «أحبك.. ولكن».. فإنه وإن كانت الجملة الجميلة «أنا أحبك» تبعث الدفء والارتباط.. إلا أنها تصبح بلا فائدة، أو ربما مدمرة للعلاقة بين شريكي الحياة حين نضيف إليها كلمة «ولكن».. هذه فكرة بسيطة؛ ولكنها غاية في الأهمية والفائدة.. لا تربط بين إطراء الحب، وبين أخطاء الحبيب!!

(٢) لا تهتم بصغائر الأمور في العلاقات الزوجية - د. ريتشارد كارلسون، و كريستين كارلسون - ص ٣٤٧ بتصرف.

(١) اللمسة الإنسانية - المؤلف - ص ١٣٢ بتصرف.

إننا جميعاً في حاجة إلى التدرب على الحب غير المشروط، واكتساب القدرة على الود في التعامل مع شريك الحياة... ذلك أنه من السهل أن يكون الزوج - الزوجة ودوداً ومحبباً حين يكون شريكه هكذا ؛ ولكن الأمر يختلف تماماً إذا كان على النقيض..

أخي الزوج / أختي الزوجة..

«إذا تجاوزت مع شريك حياتك بحب وليس بتبرم، إذا كان الحب، وليس الرغبة في الانتصار للنفس هو سمة تعاملاتك معه.. إذا اتسع قلبك دائماً لشريك حياتك، فستكتشف حينئذ ما للحب من سلطان، وستعلم أنه أكثر الوسائل فاعلية لتأكيد دوام حبك وإثراء علاقاتك..

عندما تحس من شريك حياتك الجفاء، فاعلم أن: هذا هو الوقت المناسب ؛ لكي يتدخل القلب، ابذل أقصى جهدك ؛ لكي تكون متفهماً ومحبباً بلا حدود مع التغاضي عن اختلاف أسلوبه في التعامل.. كن متسامحاً وأنصت إليه جيداً، واحتفظ بروح الدعابة وقف دائماً بجواره..

إن من أكثر الأشياء غرابةً وروعةً على مستوى جميع العلاقات، تلك الصلة الوثيقة التي تنشأ بين الزوجين فيشعر كلٌ منهما بدخائل نفس الآخر.

عندما يمتلئ قلبك بالغضب، تُصاب علاقتك الزوجية بالاضطراب.. عندما تكون كثير المطالب وحاد الطباع يلجأ شريك حياتك إلى تجنبك.

عندما تشغل بعيوب الطرف الآخر؛ فسيشعر بذلك بطريقة أو بأخرى، وسيلتزم بالتحفظ والبقاء على بعد.. بهذا الشكل لن تكون العلاقة بينكما على النحو المنشود، ولن يتم التقارب بينكما.

على الجانب الآخر، عندما يمتلئ قلبك بالحب، فسيشعر شريك حياتك في أغلب الحالات بذلك! سيُسقط عنه أسلحته الدفاعية، وسيمتلئ قلبه بالحب من جديد وعاطفة أقوى مما كانت..

إذا بدا من شريك حياتك خطأ ما، فتجاوز عنه وكن محباً.. وسيكون لذلك أثر قوي في تراجعه عن الخطأ بسرعة.

إذا نجحت في إشاعة جو داخلي من الحب، لا تؤثر فيه الأخطاء البسيطة، فستحل معظم مشاكلك بسرعة وتلقائية..

إنني لا أطلب منك بذلك أن تغرس رأسك في الرمال، أو تتقبل التصرفات الخاطئة؛ ولكن أن تتجاوز صغائر الأمور، ليتسع قلبك دائماً لشريك حياتك^(١).

وأن تتذكر دائماً أنه: «عندما تنمو في نفسك بذور الحب والعطف والخير، ستكشف في نفس شريك حياتك عن كنوز من الخير، وستجد له مزايا طيبة، تشني عليها، حين تشني وأنت صادق؛ ولن يعدم شريك حياتك ناحية خيرة أو مزية حسنة، تؤهله لكلمة طيبة، ولكنك لا تطلع عليها ولا تراها إلا حين تنمو في نفسك بذرة الحب المطلق..

كذلك لن تكون في حاجة لأن تُحمّل نفسك مؤنة التضايق من شريك حياتك، ولا حتى مؤنة الصبر على أخطائه؛ لأنك ستعطف على مواضع الضعف والنقص لديه، ولن تُفتش عليها لتراها.. كل ذلك إنما يكون عندما تنمو في نفسك بذرة الحب المطلق^(٢).

أخي الزوج / أختي الزوجة..

أحب شريك حياتك إذا أحسن إليك وكافئه بالإحسان.. أحبه إذا أساء إليك وكافئه بالغفران.. أحبه إذا أعطى وكافئه شكرًا.. وأحبه إذا أمسك، وكافئه سترًا.. إن الذي يحب شريك حياته لا ينم فيه جهراً، ولا يكشف عنه إلا خيراً^(٣).

(١) لا تهتم بصغائر الأمور في العلاقات الزوجية - د. ريتشارد كارلسون، و كريستين كارلسون - ص ٢٥٩، ٢٦٠ بتصرف يسير.

(٢) مستفاد من "أفراح الروح" - سيد قطب.

(٣) كيف تكسب محبوبتك - د. صلاح الراشد - ص ٤٢.

لأنه عاشق لمن أحب .. عاشق له ..

العشق الواجب ..

إننا إن لم نسلك طريق الحب، فقد تاهت بنا الخطوات ..

فقد كان رسولنا ﷺ رحيم القلب، مرهف الحس، عذب المشاعر .. وقد سار على هديه عمر بن الخطاب _ رضي الله عنه _ وهو القوي الشديد، فكانت رفته لزوجته أمراً مدهشاً .. وكانت خطوات علي بن أبي طالب على نفس الطريق، فرأيناه يدخل على زوجته فاطمة _ رضي الله عنها _، ويجدها تستاك بعود من الأراك، فيأخذ عود الأراك من فمها، ويضعه أمام عينيه، ويلطفها بالكلمات الرقيقة، وعبارات الحب اللطيفة، فيقول لفاطمة _ رضي الله عنها _:

فمحنة «الزوجات، لا لوم على المحب فيها، بل هي من كماله، وقد امتن الله سبحانه بها على عباده: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: ٢١].

فجعل المرأة سكناً للرجل يسكن قلبه إليها، وجعل بينهما خالص الحب، وهو المودة المقترنة بالرحمة ..» (١).

بل «من أهم الأدوار التي يجب على الزوج والزوجة أن يلعباها، دور العاشق، فلتكن العاشق لزوجتك، وتكوني العاشقة لزوجك !!»

إن علاقة الحب في الزواج هي العلاقة الأم .. العلاقة الأصل ... فالمرأة تريد أن تشعر أنها مرغوبة ليس لأنها زوجة ؛ ولكن لأنها المرأة التي عشقها الزوج .. والرجل أيضاً يريد أن يشعر أنه مرغوب، ليس لأنه الزوج ؛ ولكن لأنه الرجل الذي عشقته

(١) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي - ابن القيم - ص ٢٦٣ .

() الزوجة !!!».

«إن عشق النساء ثلاثة أقسام: قسم هو قرينة وطاعة، وهو عشق الرجل امرأته، وهذا العشق عشق نافع، فإنه أدعى إلى المقاصد التي شرع الله لها النكاح.. اكفّ للبصر والقلب عن التطلع إلى غير أهله، ولهذا يحمد هذا العشق عند الله وعند الناس»^(١).

ولذلك جاء عن ابن عباس - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال: «لم نر للمتحابين مثل النكاح». [رواه ابن ماجة بسند صحيح، ورجاله ثقات]. و كان نهج السلف الجمع بين المحبين، والشفاعة في ذلك؛ لعلمهم أن العشق لا علاج له إلا بالوصال^(٢) وأن اجتماع المحبين أعظم الملذات على الإطلاق^(٣).

وفي الحديث: «لم يُر للمتحابين مثل النكاح». [ابن ماجة. سنن ابن ماجة رقم ١٨٤٧، ج ١، ص ٥٩٣، إسناده صحيح ورجاله ثقات].

وقد سعى - عليه الصلاة والسلام - بين بريرة وزوجها - رضي الله عنهما - لعلمه بحبه الشديد لها [البخاري، رقم ٤٩٧٩، ج ٥ ص ٢٣٠٢٣].

... وكانت عائشة - رضي الله عنها - إذا علمت بميل فتاة من قريباتها نحو فتى من الشباب، سعت لتزويجها [عبد الرزاق. المصنف. ج ٦، ص ١٥٩]...

ومن ألطف أخبار العشاق أن سرية زمن النبي ﷺ انتصرت وغنمت، وكان في القوم رجل ليس منهم إنما جاء للقاء امرأة من القوم يعشقها وتعشقه، فاستأذن المسلمين في النظر إليها، فأذنوا له، ثم قدموه فقتلوه، فلما رأت المرأة ما فعل بعشيقها شهقت فماتت عندها، فلما قدموا المدينة على رسول الله ﷺ، وأخبروه الخبر، قال: «أما كان فيكم رجل رحيم». [الطبراني. المعجم الكبير، ج ١١، ص ٣٦٩ - ٣٧٠ «إسناده حسن»]

(٢) متاعب الزواج - د. عادل صادق - ص ٢٨٢، ٢٨١.

(١) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي - ابن القيم - ص ٢٦٧.

(٢) راجع إن شئت: روضة المحبين - ابن القيم - ص ٢٢٣.

(٣) طوق الحمامة - ابن حزم - ٦٥.

أخي الزوج / أختي الزوجة..

هل جرب كل منكما أن يردد لشريك حياته «الحياة جميلة لأنك أنت موجود بها، الحياة تستمد جمالها من جمالك، فهيا بنا نعيش حياة الجمال وجمال الحياة معك وبك.. هيا بنا نتأمل الزهور والنهر والفجر والنجوم والليل والسحر، ونفتح على الثقافات والأفكار... هيا بنا نفتح لى عقول وقلوب الناس، فكثير من الناس طيبين وأخيار.. هيا بنا نرى الجمال في الإنسان، ونأمل ونطمح ونحلم ونعلم بجِد وإتقان وإخلاص وإبداع.. ونتقرب إلى الله ونمتع النفس والروح والعقل بالعبادة.. فالحب جمال، والزواج جمال، والحياة معًا جمال، ولا أقدر من الأحباء على رؤية الجمال ومعايشته.. ولا أقدر من الأزواج على رؤية الجمال ومعايشته، والإنسان فُطر على حب الجمال بشرطين:

أن يكون عاشقًا.... وأن يكون معه رفيق حياته.» (١)

إن مشاعر الحب مشاعر سامية وهي معنوية موطنها القلب، والقلب عالم مغيب لا يوصل على ما بداخله إلا بريد، كاللسان مثلاً، فاللسان هو واحد من وسائل التعبير عن أحاسيس القلب ومشاعره، وهناك الأفعال السلوكية التي يمكن للمحب أن يُعبّر بها عن حبه لغيره، مفكرة الإسلام، ومن هنا وجب على كل زوج وزوجة أن يمارسا معًا فن..

الإفصاح عن الحب..

قال لي صاحبي بخجل وعيناه تفضلان عدم لقاء عيني: إنني في أحيان كثيرة أشتاق إلى زوجتي، وأستشعر فقدتها، وأتلمّس لُقيها، فسألته: أمن طول غياب؟... فأجابني بالنفي وقد زاد إطرافاً: والله إني لأفتقدتها، مع أنها تكون قد ودعتني إلى عملي في الصباح، بعد إفطار شهّي وحوار دافئ، وأنا أعبر عن ذلك

(١) متاعب الزواج - د. عادل صادق - ص ٢٨٤، ٢٨٥ بتصرف يسير.

الفيض من المشاعر بأن أجرى مكالمة هاتفية معها أثبتت تحية سريعة أو كلمة حب خاطفة وسط نهار ازدحم بأعباء العمل.

.. تعجبت لشدة إنسانيته وسمو عاطفته وتوهجها، خصوصاً أن هذا الصديق تعدى الستين من عمره، ومضى على زواجه أكثر من خمسة وثلاثين عاماً، كما تعجبت لخبيل الرجل وحرصه البالغ على إخفاء هذه الحقائق؛ ولأنه صديقي ولأنني أعرفه جيداً فلم أفسر خجله هذا بأن هذه خصوصية يريد إخفاءها؛ ولكنني فسرت أنه الخجل من إظهار هذا الحب؛ لذا فقد علقت على هذا الموقف قائلاً: إن هذه المشاعر هي مشاعر مشرفة تستحق أن تعلن وتبرز ويُشار إليها ويُشاد بها، لا أن تُكَبَّت وتُخْفَى وتُسَجَّن في أقفاص الصدور.

وجرّني ذلك للتفكير في طبيعة عقليتنا المترددة أمام هذا الأمر، وهو ذكر الحب والإفصاح عنه، فقد شاع عندنا - لا أدري لأسباب تربوية أم أخلاقية - إن الإفصاح عن الحب ضعف، وأن من الكبرياء والكرامة عدم ذكر هذه العاطفة للطرف الآخر، وإذا فهمنا دوافع الكتمان بين المحبين الذين ليس ثمة رابط شرعيّ بينهما، فإننا لا نفهم - فضلاً عن أن نتفهم - أن يظل الزوجان يدوران في فلك الكتمان، بدعوى الكبرياء والحفاظ على الصورة السامية لكل طرف في عين الآخر؛ لأنه من العيب !!

إن السنة تعلمنا أن التعبير عن «مشاعر الحب من الأمور التي تزيده وتنعشه، ولذلك كان من وصايا الرسول ﷺ إلينا: «إذا أحب الرجل أخاه فليخبره أنه يحبه» [أخرجه الترمذي].

أمّا عندما يكون بين الزوجين فيجب أن يكون التعبير صفة دائمة وبكل الأساليب، وهذا أحد أساليب النبي ﷺ مع عائشة، إذ يقول لها: «إني أعرف عندما تكوني غاضبة مني تقولي: ورب إبراهيم، وعندما تكوني راضية عني تقولي: ورب محمد» [متفق عليه].

وتبادله عائشة - رضي الله عنها - مشاعر الاهتمام الدقيق بمشاعرها، وتقول:

«والله يا رسول الله لا أهجر إلا اسمك».

ولا حرج من الإعلان عن حب بين الزوجين في الواقع المحيط بهما ؛ فإنه حين سأل الصحابة رسول الله ﷺ عن أحل الناس إليه ؟، قال: «عائشة».. قالوا: من الرجال، قال: «أبوها» [متفق عليه].

ولعلنا نلاحظ أن تقرير رسول الله ﷺ بأن عائشة أحب الناس إليه، كان بلا حرج.

كما نلاحظ أن الرسول ﷺ لما ذكر أبا بكر باعتباره أحب الناس إليه من الرجال، ذكره بصفته أبا لعائشة، فقال: «أبوها».

وقد كان حب الرسول ﷺ لعائشة معروفاً لدى الصحابة إلى درجة اعتبار هذا الحب مقياساً لحب الخير^(١).

بل ومن الطريف أن يكون أمر حب رسول الله صلى الله عليه وسلم لعائشة أمراً يراعيه الخلفاء وكبار الصحابة من بعده في تشريعاتهم، وفي علمهم.. «فترى الصحابة ينتظرون يوم عائشة ليقدموا الهدايا لرسول الله، حتى غارت بقية أمهات المؤمنين!!»^(٢).

وهذا عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - المشهور بشدته، يراعي هذا الحب، فيفرض لأمهات المؤمنين عشرة آلاف من العطاء، ويزيد عائشة ألفين!!!.. وحين يُسأل: وما السبب يا عمر، يقول: «إنها حبيبة رسول الله»!!!!.

بل إن مسروقاً - وهو أحد علماء الحديث الكبار - كان إذا روى حديثاً عن عائشة - رضي الله عنها -، قال: «عن الصديقة بنت الصديق، حبيبة رسول رب العالمين»!!!

(١) بيت الدعوة - رفاعي سرور - ص ٧٠، ٧١.

(٢) مستفاد من برنامج "ونلقى الأعبة" لعمر و خالد.

لقد كان من خُلق النبي ﷺ، أنه جميلُ المعشر، دائمُ البشر يداعِبُ أهله، ويتلطف بهم، ويوفِّهم نفقتهم، ويضاحك نساءه، حتى أنه كان يسابق عائشة أم المؤمنين يتودد إليها بذلك.

وكان إذا صلى العشاء يدخل منزله، يسمر مع أهله قليلاً قبل أن ينام يؤانسهم بذلك ﷺ، وقد قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢].^(١) يقول ابن كثير: «لقد كان ﷺ يصلي على فراش عائشة، وهذا معناه أن المكان الذي يكون فيه الإنسان مع زوجته من الممكن أن يكون هو بذاته مكان القرب من الله دون تعارضٍ؛ ولكن صلاة الرسول ﷺ في فراش عائشة لا تؤثر على رغبة النبي الشديدة في التعبد..

وها هي عائشة تصف ذلك عندما سأها ابن عمر:

أخبرنا بأعجب شيء رأيته من رسول الله ﷺ فبكت، وقالت: كل أمره كان عجباً، أتاني في ليلتي حتى مس جلده جلدي، ثم قال: ذريني أتعبد لربي، فقلت: والله إني لأحب قربك، وإني أحب أن تتعبد لربك، فقام إلى القربة فتوضأ ولم يُكثِر صب الماء، ثم قام يصلي فبكى حتى بل لحيته ثم سجد حتى بل الأرض». [رواه ابن حبان].

.... بل إن النبي ﷺ كان يوازي بين تعلم الرماية للحرب باعتباره أهم أعمال الكفاح، وبين اللهو مع الأهل في كونها من الحق، فقال رسول الله ﷺ: «كل شيء يلهو به ابنُ آدم فهو باطل إلا ثلاثاً: رمية عن قوسه، وتأديبه فرسه، وملاعبته أهله؛ فإنهن من الحق» [رواه الترمذي ١٦٣٧].^(٢)

وكان ﷺ في معاملته لأزواجه نموذجاً فريداً.. «فهو يقرأ القرآن في حجر عائشة، ويلق أصابعها بعد الأكل، ويغتسلا سوياً في إناء واحد، ويتسابقان خلف

(١) راجع إن شئت "تفسير ابن كثير..

(٢) بيت الدعوة - رفاعي سرور - ص ٢٥، ٢٦.

القافلة حيث لا يراها أحد.. ويدلّلها ويناديها: يا عائش.. كيف نصف هذه اللحظات؟؟ إنها لحظات من الحب النادر، لم تمنعه أعباء الدعوة، ولا تبعات الجهاد، ولا مكر الأعداء، ولا الوقوف الدائم بين يدي الله من أن يتفنن ﷺ في إظهار مشاعره في كل لفظة أو همسة.

و تأمل موقفه - صلى الله عليه وسلم - وهو معتكف في المسجد، تأتيه زوجته المحبّة «صفية» - رضي الله عنها - توصل له طعاماً، أو تأنس بالحديث معه، ثم إذا خرجت، لم يتركها تذهب وحدها وإنما قطع اعتكافه، ولم يمنعه وجوده بين يدي ربه من أن يخرج ليمشي معها قليلاً ويوصلها إلى بيتها، في حديث متصل حميمي، ومشاعر نابضة لا تنقطع، ولم يخش أن يقال إن الرسول - صلى الله عليه وسلم - خرج من معتكفه وقطع عبادته؛ وحين يقابل بعض صحابته يُعلّمهم ويعلمهم: هذه صفية.. هذه صفية» (١).

أخي الزوج..

أكثر من الفرص التي تعبر فيها عن حبك.. فالشعور بالحب كالعدوى، فعندما يفتح قلبك بالحب لشريك حياتك، فإن هذا الحب يجذب تجاهك المزيد من حب شريك حياتك..

أختي الزوجة..

مما لا تتم السعادة الزوجية إلا به تحب كل من الزوجين إلى صاحبه، وإظهار صدق المودة، وتبادل الكلمات الحنونة، فإن ذلك أحسن ما تستقيم به أحوال الزوجين، وأفضل ما تُبنى عليه حياتهما..

أخي الزوج / أختي الزوجة..

(١) مأخوذ من موقع إسلام أون لاين - Islamonline.net

إننا في كثير من الأحيان نبحث عمّن يحبنا ؛ ولكننا ننسى أمرًا هامًا، هو أن أفضل الطرق إلى الحصول على حب الآخر هو إعطاؤه ذلك الحب.. وأن الإحسان إلى شريك الحياة أفضل طريق لتشجيعه على أن يكون محسنًا.. وهذا هو أحد قوانين التواصل الزوجي..!!

ومن هنا، فلا بد أن يستقر في عقولنا وقلوبنا أن..

الحب تضحية وعطاء..

قد تكون مشاعر الحب هامة وأساسية في العلاقة الزوجية، إلا أن أعمال الحب من التضحية والبذل لشريك الحياة من شأنها أن تحافظ على هذه العلاقة سعيدة ودافئة. ذلك أن هذه الأعمال تُنم عن المحبة الكبيرة والتقدير العظيم لشريك الحياة.. بل إن الحب الحقيقي، أن يكون هناك من يعرفك جيدًا، فلا تحتاج معه أن تشرح ما تفعله.. وهو من جانبه يهتم بك، ويرعاك ويوفر لك الحماية، ويمتلك الاستعداد الصادق والدائم للعطاء، بدلًا من الأخذ..

ولأن العلاقة الزوجية هي علاقة «حب» ؛ فهي استعداد دائم للتضحية والعطاء لشريك الحياة.. بل يصعب في العلاقة الزوجية التفرقة بين الأخذ والعطاء، لأنهما يعطيان مدلولًا واحدًا في عالم الحب !

في كل مرة نعطي شريك حياتنا، نكون قد أخذنا !! ليس بمعنى أننا أخذنا شيئًا ماديًا، وإنما أخذنا نفس ما أعطينا ؛ لأن فرحتنا بما أعطيناه لمن نحب، ليست أقل من فرحته هو بما أخذ !!» (١).

نعم.. «عندما تمتلئ قلوبنا بالحب، وعندما نتقاسم هذا الحب، فإننا نصبح أكثر رافةً وملاطفةً ومثابرةً، وتنمو رؤيتنا ونكتسب مزيدًا من الرضا. وعندما نكتشف أساليب جديدة ؛ لتقاسم هذا الحب يحدث تحوّل سحري في حياتنا فنصبح أكثر اهتمامًا بشريك الحياة، وكلما اكتشفنا أساليب جديدة للتضحية من أجل شريك

(١) مستفاد من، أفراح الروح - سيد قطب .

الحياة، نجد أنفسنا وقد أحاطتنا مشاعر الحب^(١)، فالحب «تضحية وعطاء، وليس مجرد غزل وادعاء، الحب بين الزوجين رابطته رابط شرعي سماوي رباني، نعم.. حب الزوج لزوجته قرينة وطاعة وهو حب نافع تحصل به المقاصد النافعة التي من أجلها شرع الله النكاح، لغض البصر والقلب عن التطلع إلى غير أهله»^(٢).

والزواج حب وعطاء، وأولى الناس بالحب والعطاء من اخترتها شريكاً لك، ومُعِينَةً ؛ لتسكن إليها وترتاح، ثم لتُنجب منها ذرية صالحة، فاعلم أن: التضحية منها إذا أردتها، فستكون على مقدار العطاء منك..»^(٣).

وأنها من خلال هذا العطاء منك، يتكوّن رضاها عن بيتها وعيشتها «وهذا الرضا يمثل طاقة الدفاع الكامل لحماية البيت، وأمّا حين تكون غير راضية، فإنها تخرب بيتها بيدها.

ولذلك نجد أن سيدنا إبراهيم _عليه السلام_ عندما زار ابنه إسماعيل، وجده قد تزوّج، فسأل زوجته عن الحال والمعيشة، فقالت: الحال في ضيق، فرأى إبراهيم أنها غير راضية، فقال لها: إذا جاء إسماعيل فأقرئني مني السلام واطلبي منه أن يغير عتبة بابه، فلما جاء إسماعيل أخبرته بما حدث، فقال لها: أنت العتبة، الحقني بأهلك. وطلقها. [البخاري ٣٩٦-ص ٩٧ / ٦ من حديث ابن عباس].

ف نجد في هذا الحديث أن إبراهيم سمع قول الزوجة فأمر إسماعيل بأن يطلقها دون أن يتبين حالتها فعلاً ؛ لأن المسألة لا تتعلق بحالة الزوجة الفعلية بل تتعلق بإحساسها بحالها ومعيشتها، وقد كان هذا الإحساس وحده كافياً ؛ لأن يحكم إبراهيم الخليل بطلاقها ؛ إذ أنه لا أمان للمرأة التي تشعر باستقرارها وسعادتها مع زوجها في بيته، كما أن إسماعيل لم يتردد في تنفيذ ما طلبه إبراهيم ؛ لأنه يعلم أن هذا

(٢) مأخوذ من موقع "مفكرة الإسلام" www.Islammemo.com

(١) مستفاد من موقع "صيد الفوائد" www.saaaid.net

(٢) وصايا إسلامية في الزواج - محمد كامل الشريجي - ص ٤٦ .

هو الحق...» ()

أخي الزوج / أختي الزوجة..

لقد أيقنت من خلال حياتي كزوج، وبعد مطالعة الكثير من الدراسات المستفيضة حول السعادة الزوجية.. أيقنت أن الأساس الأول لدوام الحب بين الزوجين هو «المحبة الباذلة» التي لا تأخذ بقدر ما تعطي.. وأن الحياة الزوجية لا تنمو وترعرع إلا في كنف هذا الحب الباذل.. وأنه إذا كان الحب هو وجه العملة الأول ؛ فإن وجهها الآخر - الذي هو بالأهمية نفسها، هو التضحية..

ولذلك فإننا حين نحب شريك الحياة، فإن هذا لا يعني فقط أن نمنحه مشاعرنا القوية الفيّاضة، وإنما أيضًا نمنحه قرارنا بشأنه، وحكمنا تجاهه، وأخيرًا وليس آخرًا، وعدنا له بعلاقة يصبح فيها كيانه أعزّ علينا من كياننا، وتمتزج فيها روحنا بروحه وتتحد ذاتنا بذاته، لنقتسم معًا جميع ما تفيض به الحياة من سعادة وهناء، وأيضًا من معاناة وألم..

ومن هنا، فإن هفيف حقوقنا، لا ينسينا هدير واجباتنا...!!

أخي الزوج / أختي الزوجة..

«الحب يقيم الجسور، بينما الكراهية توجد الشقوق والأخاديد.

الحب يشع دفئًا بين الزوجين، والكراهية تشع برودة شديدة..

مَن يبذر الحب في قلب شريك حياته يحوِّله إلى جندي يجرسه، وعامل يخدمه،
ومظلة تقيه حر الشمس..

لأن الذي يجب أحداً يحرص الحرص كله على أن يسعده، ويكون على استعداد
لأن يبذل له كل ما يستطيع..

إن الحياة عند مَنْ أَحَبَّ تُخْتَزَلُ فِي شَخْصِ الْمَحْبُوبِ، فَيَصْبِحُ إِرْضَاؤُهُ وَكَأَنَّهُ
إِرْضَاءٌ لِكُلِّ الْحَيَاةِ كُلِّهَا، وَإِغْضَابُهُ وَمَخَاصِمَتُهُ، وَكَأَنَّهُ إِغْضَابٌ وَمَخَاصِمَةٌ لِلْحَيَاةِ
كُلِّهَا...!!»^(١).

ولكل ما قدمناه من أفكار وكلمات، فإننا نؤكد أن الحب محرك رئيس للحياة.
إذا فُقد، فقدت الحياة، وإذا وُجد، وجدت الحياة؛ وأنه إن كان لكل حياة ماء تحيا به،
فإن «الحب ماء الحياة»..



(١) مُسْتَفَادٌ مِنْ «اللمسة الإنسانية - للمؤلف» .

الفصل الثاني

تبدأ العلاقة الزوجية بمشاعر حب وسعادة وسرور وتفاؤل واحترام متبادل، ثم لا تلبث هذه المشاعر أن تهدأ وتستقر شيئاً فشيئاً مع مرور الزمن، وقد يحدث أحياناً أن تختفي هذه المشاعر نهائياً ؛ نتيجة تراكم مشاكل الحياة اليومية، أو نتيجة الأخطاء والإساءات المقصودة أو غير المقصودة من الزوجين...!!

وهنا يبدأ العقلاء من الأزواج في البحث عن السبيل إلى إعادة الدفء العاطفي بينهما ليكبروا في حب، بل ويزداد حبهما مع مرور الزمن...؟!

وهذا الفصل يؤكد لكل الباحثين عن الدفء العاطفي، أن الوصول إلى هدفهم ميسورٌ وسهلٌ، وأن كل إنسان مهما بلغ عمره يمكنه الاستمرار في ممارسة الحب مع شريك حياته، ربما بشكل أفضل مما بدأه معه.. بما لديه من خبرة تؤهله أن يرى تعبيرات وجه شريك حياته في الظلام، وتمكّنه من الإنصات بفهم إلى أنفاسه، وتمّده بعشرات المئات من الذكريات الحلوة بينهما، وهما يمارسان الحب بقلب محب، وفكر عاشقٍ..

فتور العلاقة الزوجية..

«عندما يحب الإنسان لأول مرة، ويرتبط بمن أحب، يكون بمقدوره أن يقضي كل دقيقة من اليوم مع ذلك الإنسان الذي يحبه، ولا يشعر بالملل أو بانشغال البال وهو معه، ولحظة وصوله إلى المنزل، لا يطبق الانتظار حتى يتحدث إليه، فيبدأ هو في التحدث، وهو يُعْمِنُ النظرَ في عينيه.. بل إنه يشعر أن ساعات بعباده عنه تساوي

دهراً كاملاً.. وتدور أفكاره جميعها حول هذا الإنسان الذي أحبه...!!» (١)
 إنه «ينتظر مواعده ملهوفاً، ويذهب إليه فيجده كذلك ملهوفاً. ويقول له إذا تأخر عن مواعده: كم خفتُ ألا تأتي الليلة، إنني أشعر أنني غريبٌ في الحياة كلها حين لا أراك!!» (٢)

ثم يبدأ الزوجان في بناء عش الزوجية.. ما رأيك في هذه الحُجرة؟ ما لون الجدران الذي تراه مناسباً؟.. انظر إلى تلك الحجرة الصغيرة، إنها تصلح لطفلنا الجميل.

و يؤكد كل شريكٍ لشريكه أنه يحب العيش معه حتى نهاية الحياة..
 وفي أشهر الزواج الأولى، تنتظر الزوجة عودة زوجها بفارغ الصبر.. ويكون هو شديد التعلق بها، كثير الاهتمام بشأنها..
 ولكن..

ما أن تمر عشرون سنة.. بل ربما لا تمر سنة حتى يستيقظ الشريكان من الأحلام... وقد بهتت إحساس الحب بينهما، بل ربما اختفى تماماً؟!
 ويبدأ ديب الملل في التسرب إلى العلاقة بين الزوجين «وينشغل الزوج بأحواله وظروف عمله أو مشاكله، وتنشغل الزوجة عن الاهتمام بزوجها إلى رعاية أبنائها؛ فتشكو الزوجة من عدم اهتمام زوجها بها، وإعراضه عنها ومعاملتها بقسوة وجفاء وعدم تقديره.

ونفس الشكوى يرددها الزوج: زوجتي لم تعد تطيقني، ولم تعد تحبني وتضايقني كثيراً بتصرفاتها، وتهمل رعايتي، وتتعلل بالأولاد، أو بأننا كبرنا ولا ينبغي أن نتصرف مثل الشباب المراهق.

(١) لا تهتم بصغائر الأمور في العلاقات الزوجية - د. ريتشارد كارلسون، و كريستين كارلسون - ص ٣٦٢ بتصرف.

(٢) أشواك - سيد قطب، بتصرف يسير.

ثم إن هذا الفتور في العلاقة الزوجية ينعكس على كل أحوال البيت، فلا ترتاح الزوجة ولا الزوج ويعيش الأبناء في قلق وتوتر.

الصوت مرتفع لأتفه الأسباب والمشاكل البسيطة تتعمق ويكبر سوء الظن وتأويل الكلام على الوجه السيئ، إضافة إلى تصرفات وسلوكيات أخرى لا ترضى أحدًا^(١).

بل إنني أعرف أزواجًا «مضى على زواجهم سنوات طويلة، وبعد أن كانت تجمعهم المحبة والود، فقد أصبحوا بعد سنوات من خيبات الأمل والإحباطات، وسوء التفاهم، أصبحت العلاقة بينهم باردة، ووصلوا إلى حالة صعبة من اليأس في إمكانية تجديد وتقوية علاقتهم الزوجية، وقد يقول بعضهم: «لقد حاولنا كل شيء فلم نفلح، إننا لا يمكن أن نتفق أبدًا، إننا مختلفان تمامًا»^(٢).

وهكذا «يبدأ الزوجان في السقوط من أعالي فضاء الحب، إلى حضيض الملل في العلاقة المشتركة فيما بينهما؟

إن شبح الملل يمكن أن يحوم في أجواء كل علاقة، مما يفقدها بعض ما تتمتع به من بريق ورونق.. بذلك تبدأ جاذبية الطرف الآخر في التلاشي مع الوقت، ومعه أيضًا مشاعر الحب القوية الجياشة، وذلك ما لم نسعَ جاهدين لإنقاذ الوضع الخطير، المنذر بالتدهور»^(٣).. ولا شك أن لهذا الملل أسباب كثيرة، لعل من أهمها:

« تنافر الطباع، وتصادم آراء الزوجين في الحياة وأمورها، واختلافهما في درجات التطور، وفي تأثرهما بالعادات الموروثة.

كما أن هناك ألوان كثيرة أخرى من المخاطر والمتاعب والصعوبات والمآسي، يتعرض الزواج لتتائجها، ولا يدرك خطرهما غير الذين يقاسون مآسيها..

(١) مستفاد من "رسالة إلى ابنتي - زينب الغزالي"

(٢) التفاهم في الحياة الزوجية - د. مأمون مبيض - ص ١٧ بتصرف.

(٣) بلوغ النجاح في الحياة الزوجية - كلاوديا إنكلمان - ص ٨٠.

وثمة صخرة كبيرة، هي أن التجاذب الحسي قد ينطفئ بعد الزواج، فيحل محله نفور حسي !! وهذا النفور الحسي يبرز ويظهر إذا اعتلت قوة الميل المتبادل، ويكون النفور قوياً بقدر ما كان التجاذب طاغياً وشديداً، بل ربما أصبح عداوة منتظمة وكراهية شديدة !!!

وهذا التنافر - بلا شك - يهدد الزواج تهديداً مستمراً ..» (١)

نعم.. قد لا يحدث بين الزوجين تشاجر ولا نزاع ؛ ولكن رغم ذلك تفتقر حياتهم إلى حرارة الحب والعواطف !! بل ربما صارت فارغة من كل محتوى ؛ حتى تغدو مجرد علاقة رفيقين في غرفة واحدة، يسيطر عليها البرود والرتابة.. أمّا الحب ودفء العواطف فلم يعد أي منهما يرفرف على علاقتهما..

فالزوج الذي كان يهيم حباً حتى بعيوب زوجته، وربما بما فيها من عدم كمال نفسي أو منطقي، صار اليوم ينتقد بيضة غير ناضجة أو خبزاً غير طازج !! والعاشق المتيم الذي كان يغمر زوجته بتعبيرات حبه بمناسبة وغير مناسبة، صار يغادر البيت في الصباح دون أن يفكر بطبع القُبلة التقليدية؟! (٢) كما أن تعامل الزوجة معه أصبح خالياً من أي شكل من أشكال التقدير، ولو حتى مثل تلك التي تقدمها لضيوفها !!

وهكذا.. تمضي الحياة «وتُضعف طاقة العاطفة، ويدخل شيء من الملل والرتابة على الحياة بين الزوجين.. وبما أن العاطفة هي المنظم «للحب» بينهما، فإن الحب كذلك يُصبه شيء من الضعف والخمول.. ويظل في خط تدريجي إلى أسفل كلما مضى العمر، وتبقى العلاقة قائمة على روابط الأبناء..!!

ومن ضعف الحب، تخرج المشكلات إلى سطح العلاقة بين شريكي الحياة..

(١) الزواج المثالي - فان دفلد - مكتبة الخانجي - ص ٨٤ ، ٨٥ بتصرف .

(٢) لا نلوم الزوج أن يقضي جل وقته في العمل ، فهو يريد النجاح في الحياة ، ويريد في ذات الوقت القيام بمسؤولياته كزوج له بيت وأولاد ..

فالعاطفة التي كانت تعمل على إذابة الفروق والاختلافات الفطرية أصابها الضعف.. فتبدأ الانتفاخات الذاتية، والحواجز النفسية في البروز بينهما، وتظل تنمو شيئاً فشيئاً حتى انفصالان روحياً ونفسياً عن بعضهما!!

وتظل المشكلات قائمة بينهما تغذيها تلك الانتفاخات والحواجز ؛ فيبقى الزوجان يعيشان على ذكريات الماضي الجميلة، ويستسلمان للواقع الأليم، ولا يتطلعان إلى مستقبل جديد! بل - ربما - بحث كل منهما عن حب جديد؟! أو وقع بينهما الطلاق...!!» (١)

«إن من أكبر مشاكل الزواج الإهمال.. «إهمال أشياء بسيطة.. وبسيطة جداً.. يتزايد الإهمال إلى حد التجاهل غير المتعمد لحساسية الطرف الآخر واحتياجاته التي في الغالب تكون بسيطة جداً. ويحدث تراكم مع الأيام.. والمشكلة الأساسية هي التراكم.. ونتحمل في البداية حين نكون صغاراً.. ونكبر.. ومع ازدياد التراكم يزداد الإحساس بالألم.. ونصل إلى مرحلة - ربما - لا نستطيع أن نتحمل معها» (٢)

حين يُصبح لدينا أطفال.. حيث أن قدومهم يفرض علينا أعباء جديدة، فالزوج يبذل يبذل جهداً أكبر في توفير نفقات الأسرة، وقد يضطر للعمل ساعاتٍ أطول أو التماس أعمال إضافية لزيادة دخله، وتدبير مصروفاتهم.. والزوجة تنتهي من حياتها تقريباً ساعات التزيّن لزوجها، وأيام الانسجام والعطر الفواح!!

ويزيد انشغال الزوجين، ويغرقا في مشاكل الدراسة والمعلمين، والعمل المتواصل.. حتى تصبح العلاقة بينهما باردة، يكاد بردها أن يصل إلى حد الطلاق؟! قد تقول - أخي الزوج -: «إن علاقتي بزوجتي لها الأولوية عندي، وأنا أمنحها قدرًا كبيرًا من الأهمية..!!».

فاعلم أن: «أفعالك» هي مقياس نواياك، وأفعالك تتعارض مع نيّتك في جعل

(١) الحب في التصور الإسلامي - أحمد طه - مأخوذ من موقع www.saaaid.net

(٢) متاعب الزواج - د. عادل صادق - ص ١٤ .

علاقتك مع زوجتك لها الأولوية في حياتك.. فأنت تبخل - مثلاً - باقتطاع جزء من وقتك؛ لتقضيه مع هذه التي تقول عنها أنها حبيبتك؟! وينصبُ اهتمامك على أبنائك فقط، ولا يمتد ليشمل علاقتك الزوجية!! فيبدو الأبناء وكأنهم حاجز قد قام بينك وبين زوجتك!!

لا أحد يدعوك لتقليل حبك لأبنائك.. وإنما الواجب أن تحب أبنائك حباً تعجز الكلمات عن وصفه، تحوطهم بالحنان، وتتمنى أن يكونوا في أفضل حال، وتبذل حياتك من أجلهم..

ولكن - وفي نفس الوقت - تُحب زوجتك بصدق، وتربط بينكما صداقةً حميمةً، فتقضي معها بعض الوقت بمفردكما؛ لتتجاذبا أطراف الحديث سوياً، ويعبر كلٌ منكما عن حبه للآخر، وتضحكان معاً.. وتستشعرا معاً شراكة الحياة..

وهكذا، لا يقف بينكما شيء، ولو كانوا الأبناء!!

لا تتعجب، فإن أفضل ما تقدّمه لأبنائكما هو القدوة الحسنة في الحب العميق المتبادل بين الزوجين وتفضيل كل منكما للآخر على نفسه، وأنه لا تشغله مسؤولياته عن رعاية شريك حياته والاهتمام به، وأن كلا منكما لا يتحاشى كل تجربة، أو ينأى بنفسه عن كل ما يعرضه للخطأ، بل يخوض التجارب، ويستفيد منها حتى لا يكرر ذات الأخطاء.

أخي الزوج / أختي الزوجة..

«ما قيمة الحياة التي يحياها كل شخص مع شريكه بجسده، بينما عواطفه ومشاعره وأحاسيسه تحوم في الأفق بوعي أو بغير وعي، وأي سعادة في تلك الحياة الزائفة والعواطف المورّعة...»

إن الواقع والتجربة يبينان بوضوح أن إسعاد الناس ليس براحة الأجسام وإنما بطمأنينة القلوب.. وهذه السحابة الخيرة من الحب والسعادة تلقي ببائها الغزير على الأبناء، الذين يشبون ويحيون بهذه الرعاية، وفي ظلال هذا المحضن حيث الأمن

النفسي والعاطفي... والحب الودود الحاني المشرق المنير الذي يشرق على البيت، ومن الحب تشيع في البيت السباحة والبشر والطلاقة، فإذا هي أسرة سعيدة» (١) في كل..

فصول الحب..

العلاقة الزوجية تشبه الحديقة ؛ ولكي تزدهر لابد أن تُسقى بانتظام، وتُعطى اهتمامًا خاصًا.. لابد من رش البذور الجديدة، وقلع الحشائش الضارة..!!
نعم - أخي الزوج، أختي الزوجة - لكي يبقى سحر الحب بينكما حيًا، لابد من فهم فصول الحب، وما يجب أن نراعيه في كل فصل..

- ربيع الحب:

ربيع الحب هو وقت البراءة حيث يبدو الحب أبدئيًا، ويبدو الحبيب كاملاً، ويبدو كل شيء في الحياة ناجحًا بلا عناء؟!!

- صيف الحب:

خلال هذا الفصل من فصول الحب، ندرك أن الحبيب ليس كاملاً إلى الدرجة التي ظننا أنه عليها، فهو إنسان يُخطئ ولديه نقص في بعض النواحي..
كما أننا نكتشف أننا لسنا سعداء دائماً..
وهنا يرتبك بعض الأزواج، فلا يبذلون الجهد من أجل علاقة الحب مع شريك الحياة، وفي ذات الوقت يريدون أن يبقى للحب ربيعته؟!!
إنهم لا يدركون أنه لكي يبقى للحب ربيعته، لا بد من العمل الجاد تحت شمس صيفه الحارة..

(١) مستفاد من " في ظلال القرآن - سيد قطب "

- خريف الحب:

حين نرعى حديقة الحب في صيف الحب، فإننا نحصد نتيجة هذه الرعاية في خريف الحب، حيث نعيش حباً أكثر نضجاً مع شريك الحياة.. حباً يقبل ويفهم نقائص شريك الحياة ونقائصنا.. وعندها يمكننا أن نسترخي ونستمتع بالحب الذي صنعناه..

- شتاء الحب:

يتغير طقس الحب مرةً أخرى.. ويأتي شتاءُ الحب، حيث أشهر الشتاء الباردة حين تنكفى طبيعة الحب داخل ذاتها.. وعندها يكون وقت الراحة.. حيث نعيش آلامنا، وننظر في أنفسنا بحثاً عن الحب والإنجاز في الحياة..

إنه شتاء الحب، حيث الشفاء من كل الأوهام، والنور لكل المناطق المظلمة داخل الأنفس.. ومن ثم العبور من شتاء الحب إلى ربيعهِ مرةً أخرى.. الربيع حيث الأمل.. حيث يزدهر الحب..

إن الحبيين في مراحل الزواج الأولى قد لا يخطر في ذهنهما أنه «يمكن لحيهما أن ينمو أكثر مما هو عليه !! ويعتقدان بأن حيهما في قمته، إلا أن الحقيقة أن حب الأزواج يمكن أن يستمر في النمو، بتغير في نوعيته، ويكبر مع كبر الزوجين، ومع مواجهتهما لمشكلات الحياة وتحدياتها، ومع اشتراكهما معاً في التغير والتكيف مع علاقتهما المتغيرة باستمرار..

إن من الأزواج من يعاني من صعوبات في العلاقة مع شريك الحياة، حتى يصل إلى قناعة أن الحب قد اختفى تماماً، ولكنهم بمرور الوقت، ومع مواجهة تحديات الحياة يكتشفان نوعية جديدة من الحب بينهما.. نوعية ناضجة ومتميزة.. نوعية تبني علاقة عاطفية أفضل، وتحقق للزوجين الحياة الطيبة».^(١)

(١) التفاهم في الحياة الزوجية - د. مأمون مبيض - ص ٢٤٥، ٢٤٦ بتصرف .

إن «الحب في الزواج له طعم مختلف، له شكل مختلف، له جوهر مختلف.. إنه ذلك الحب الذي تداخل مع كل أنسجة الجسد والروح والنفس واستقر في كل خلية وأصبح يجري مع الدم.. ومن شدة أنه داخلي ومنتشر مع الخلايا وفي أعماق الأعماق؛ فالإنسان لا يراه رؤي العين ولا يحسُّه على الجلد ولا يشمه بأنفه !!!

ولكننا يمكن أن نراه بالقلب وندركه بالعقل في الأزمات، وحين تتهدد حياتنا، وحين يلوح ما يُنذر بانفصالنا، هنا يفيض الحب من الداخل إلى الخارج فيملاً العيون وتنطقه الألسنة وتسمعه الأذان نشيداً سماوياً خالداً، يعبر عن حكمة الله في الزواج.. وإنه ليس مثل أي علاقة.. بل هو توحد.. هو ضرورة حياة.. وهو التعبير عن أسمى درجات الحب وأعمق درجات الارتباط الإنساني.

في هذا الحب العميق يرى الإنسان نفسه جزءاً من إنسان آخر، ومن خلال هذا الإنسان الآخر.. إنه إحساس مختلف من الحب..»^(١)

ومن هنا فإنه من الواجب أن يبذل الزوجان الجهد الإيجابي للحفاظ على هذا الإحساس، ولا يكون ذلك إلا من خلال أن يتحمل كلا الزوجين مسؤوليته عن سعادة الآخر واستقرار الحياة معه، والعمل الدائم على إغناء العلاقة الزوجية، وتنمية المحبة فيها من خلال، أن يقوم كل طرف بما يُسمى: «أعمال الحب»، ويُقصد بها تلك الأعمال الإضافية التطوعية، التي تُنم عن المحبة الكبيرة والتقدير العظيم للطرف الآخر، كمفاجأة غير متوقعة وهدية، أو مكالمات هاتفية يعبر فيها عن محبته، أو ورقة صغيرة في الكتاب فيها كلمة حب.. وكثير من الأمثلة التي تخطر في ذهن خطيبين أو عروسين جدد؛ ولكنها - مع الأسف - تغيب عن تفكير الأزواج!^(٢)

إن مثل هذه الأعمال تشير إلى اهتمام كل من الزوجين بشريك حياته، وتؤكد أنه يفكر فيه، ويرعاه.. وهذا هو معنى الحب.. في كل فصوله !!

(١) متاعب الزواج - د. عادل صادق - ص ١٣ .

(٢) التفاهم في الحياة الزوجية - د. مأمون مبيض - ص ٢٤٤ .

أخي الزوج / أختي الزوجة..

إنني أخطب الوعي الذي يحمله عقلكما، وأناشد الحب الذي يحويه قلبكما.. و
أطلب منكما أن تحاولا الاحتفاظ بالحب الذي بينكما، ليس في صورته المتأججة، بل
في صورته العميقة المستقرة في قلوبكما..

لا تدعا الأيام والسنون تثير الغبار على هذا الحب المستقر في أعماق قلوبكما، بل
فليحاول كل طرف منكما أن يعمل أقصى جهده لإسعاد الطرف الآخر.. وليعلم
أن..

الحب فعل إرادي..

يقوم الحب علي أساسين هما: الإعجاب والامتنان، والإعجاب هو الانفعال،
وهو الشعور الذي لا يدلنا منه، إذ نحن مفطورون علي الإعجاب بمن تتجسد فيه
الصفات والخصال التي نراها مثالية ونقدرها كثيراً..

أما الانتقال من الإعجاب إلي الحب فإنه فعل إرادي، وبأيدينا أن نحب «حب
الرجل للمرأة، وحب المرأة للرجل» ذاك الذي أعجبنا به، وبأيدينا أن نبقي في
مرحلة الإعجاب، إن كنا نعتقد أن حبنا لهذا الشخص أمر غير متناسب مع ظروفنا،
وسيكون شيئاً يصعب عيشه بكل مقتضياته وبكل ما يترتب عليه عادةً، أو إنه حبٌ
لا حاجة لنا به إذ لدينا محبوب آخر ملأ علينا دنيانا العاطفية، فاستغنينا به عن غيره.

والامتنان هو الدافع الثاني للحب والمقصود هنا امتنان المحب للمحبيب علي
ما تلقاه منه من خير يلبي رغبته وحاجته ؛ لكن هنالك اختلاف بين الحب المتولد
من الإعجاب والحب المتولد من الامتنان.

الحب المتولد من الإعجاب يكون «رومانسيًا»، أما الحب المتولد من الامتنان
فهو حب هادئ سماه علماء النفس «حب الصحبة»، وفي الحياة الزوجية يمهد الحب
الرومانسي الطريق لحب الصحبة الذي يدوم عادة حتى النهاية.

ولأن الحب فعل إرادي ؛ فإنه يمكن أن يحب كل من الزوجين الزوج الآخر من جديد، نعم، الحب فعل إرادي، لكن الكثير من الأزواج والزوجات الذين هم في حالة برود وفتور عاطفي في حياتهم الزوجية يجدون صعوبة في أن يحبوا الطرف الآخر من جديد، حتى لو أرادوا ذلك وحاولوه، إن قلوبهم لا تطاوعهم في ذلك، وإذا حال شيء بين المرء وقلبه، فقد الإنسان قدرته علي توجيه مشاعره الوجهة التي يريد.

لكن ما الذي يمكن أن يشكل جدارًا يحول بين الإنسان وبين أن يحب من يريد حبه وبخاصة في الحياة الزوجية ؟

إن الحائل إما أن يكون إصابة شديدة في الإعجاب حوّله إلى نفور، وإما أن يكون إصابة في الامتنان حوّله إلى غيظٍ وغلٍ وعداوة مخبوءة أو ظاهرة، وهذا يعني أن إزاحة العوائق من وجه الحب بين الزوجين، تقتضي التخلص من النفور والتخلص من الغيظ والغل والحقد والعداوة، قبل أن يكون بمقدور الزوجين أن يحب أحدهما الآخر.

ولذلك فإن من صفات الأزواج والزوجات الرائعين في الحياة الزوجية، أنهما يحافظان على حبّهما الزوجي، ويحرصان على تنميته وتطويره ؛ ليكون متوقداً دائماً ؛ لأن هناك كثيراً من الزوجات تفاجأ بـ «موت الحب» بين الطرفين، فتصبح علاقتهما الزوجية علاقة جافة قاتلة، ولولا الأبناء لما استمررا في زواجهما..

إن بعض الأزواج والزوجات يظن أن الحب في حياتهم الزوجية قد توفاه الله، ويستسلم إلى الحالة التي وصل إليها، وتمضي سنون كثيرة وهم علي هذه الحال، ذلك أنهم يظنون أن الحب انفعال وتأثر، وطالما أنهم لا يشعرون به فإنه لا مجال لفعل شيء.. ويجعلون الذنب ذنب الطرف الآخر الذي لم يبق محبوباً كما كان من قبل، وإن كان هنالك ما يمكن فعله فهو واجب الطرف الآخر وعليه وحده تقع المسؤولية، وهو وحده عليه أن يتغير ليعود محبوباً كما كان.

أما الأزواج والزوجات الأكثر قدرة علي فهم نفسية الإنسان فيعلمون أن الحب

فعل إرادي وقرار يتخذه المحب وليس انفعالاً سلبياً، يكون فيه المحب متأثراً، لا قدرة له على المقاومة ولهذا أمرنا في ديننا أن نحب الله ورسوله..

ولو كان الحب انفعالاً لا يدّ لإرادتنا فيه، لكان في أمر ديننا لنا بحب أشخاص معينين تكليفاً لنا بما لا نطبق.

.. ومن هنا وجب أن نأتي كل الأعمال التي تعيد دفء العلاقة مع شريك الحياة...!!

ولا شك أن أول ما تحتاجه تلك الأعمال هو الوقت.. فالحب يحتاج إلى الوقت.. ولذلك تبهت مشاعرُ الحب بين الزوجين عندما نسمع هذه العبارة «لا أجد وقتاً كافياً لأجلس معك»..، فكل من الزوجين «مشغول» بأعماله واهتماماته، ولا وقت لديه للطرف الآخر!!!

الخطأ هنا يقع من بعض الأزواج حين يجد أن علاقته حسنة بشريك حياته؛ فيتوقف عن استثمار الوقت في تقوية هذه العلاقة وتنميتها، بينما الواقع يؤكد أن نمو الحب بين الزوجين، لن يحصل ما لم يستثمر كل من الزوجين الوقت والجهد المطلوب في رعاية الطرف الآخر..

أنا أعرف أن الحياة بعد فترة من الزواج تصبح مثقلةً بعبء السعي؛ لتحقيق المستقبل وتحمل المسؤوليات العائلية.. كما أن «تعقيدات الحياة وكثرة مشاغلها تحرم الكثير من الأزواج فرص المعاشة وقضاء الوقت المشترك..

ومع أننا نسمع الزوج أو الزوجة، يؤكد أن العلاقة بينه وبين شريكه أهم من ترتيب المنزل أو غيره، فإنه قد يجد الوقت لترتيب المنزل، ولا يجد وقتاً يقضيه بهدوء مع شريك الحياة؟! نعم.. إن عصر السرعة الذي نعيش فيه يضغط على الزوجين؛ ولكن العلاقة الزوجية تتغذى بالوقت، الذي يستثمره الطرفان في هذه العلاقة، ولا بد من التروّي في تنمية هذه العلاقة من خلال ما يبذل فيها من وقت».^(١)

(١) التفاهم في الحياة الزوجية - د. مأمون مبيض - ص ٢٤٧، ٢٤٦ بتصرف.

إن الكثير من الدراسات تُظهر أن أهم أسباب ضعف العلاقة الزوجية وتدهورها هو قلة الوقت الذي يقدمه كل من الزوجين لنمو هذه العلاقة..

ولذلك فنحن نقترح على الأزواج أن يحاولوا عدم الافتراق الطويل بينهما في سفر أو غيره، وأن تكون الأولوية عندهم للعيش المشترك، وقضاء الوقت معاً. فيكون بينهما - مثلاً - موعداً أسبوعياً يقضيانه بمفردهما فقط، أو يخرجان فيه للتنزه، وتناول العشاء.. أو زيارة الحديقة أو البحر.. أو غير ذلك من الاقتراحات التي لا تنتهي، والتي قد تختلف من بيئة لأخرى، ومن بلد لآخر فيما هو متوفر.. أو قد يفضل الزوجان أن يقضيا الأمسية في البيت بمفردهما متجاهلين رنين الهاتف، ويتناولان وجبة العشاء الخاصة، ويقضيان الوقت بالحوار والمداعبة..

ويُفضل في هذه الأوقات الخاصة ألا يحاولوا حل مشكلة أو اتخاذ قرار هام في حياتهما، فهذا الوقت ليس لمثل هذه القضايا. وإذا ظهر في الحوار موضوع غير مناسب يحتاج للدراسة والنقاش، والحل فيمكنهما هنا أن يوقفا الحديث ليعودا إليه في وقت آخر.. ذلك أن هذه الأمسية الخاصة مخصصة للاسترخاء والحديث الهادئ، والاستمتاع بصحبة شريك الحياة، والقرب منه.. والحديث عن الأحلام والأمنيات التي يتمناها كل طرف في المستقبل^(١).

إن شريك الحياة بما يملك من محبة ووفاء يستطيع بحبه وحنانه أن يتفهم أعماق شريكه، ويسبر أغوار نفسه «ويدرك أن شريكه مهما أخذته دوامة الحياة ومشاغلتها، فإن له قلباً ينبض ويحب، وأنه في حاجة إلى الحب والحنان، ومشاركة الحياة بحلوها ومرها»^(٢).

ويعلم أنه يستطيع أن يعطيه الحب الذي يحتاج، فالحب فعل إرادي، وليس فطرياً يولد معنا في هذه الحياة، إنما هو فن ومهارة، مهارة تأتي بالدُّربة والتعلم، وفن

(١) المصدر السابق - ص ٢٣٩، ٢٤٠ بتصرف يسير.

(٢) رحلة في أعماق حواء - انصاف نعيم - ص ١٦٨.

يأتي في الاستقبال والإرسال، فالعلاقة الزوجية علاقة ترتبط بالنفوس والأرواح قبل الأجساد.. ولا بد من بذل الوقت فيها، والاهتمام الدائم..

التعبير عن الحب..

في كل يوم، في كل أسبوع.. هناك فرص عظيمة لتغيير حياتنا الزوجية عبر التعبير عن الحب لشريك الحياة.. و «هناك فرص لا حصر لها نجدها في حياتنا اليومية، ويمكن من خلالها إظهار الحب والاهتمام، إذ يمكننا إظهاره مثلاً بمسك اليد واللمس والاستماع والمساعدة وإشعار الآخر بالراحة.. ويمكننا التعبير عن الحب والاهتمام بطريقة لفظية أو غير لفظية بالابتسام وهز الرأس بالموافقة أو بالإدلاء بعبارات، أو طرح أسئلة تُظهر هذا الاهتمام مثل: «كيف تشعر اليوم؟» أو «هل أستطيع أن أقوم بشيء لمساعدتك؟» (١)

إن أشد ما يُمتع شريك حياتك هو أن يستمع لصوتك ينقل أفكارك معبراً عن عواطفك.. بل إنه يرى أن هذه المتعة لا تقل عن متعة الاقتراب الكامل منك.. إنه يرى في كلماتك إبداعاً وفناً وعمقاً.. ويجب أن يبادل لك الحوار بنفس حماسك، فهو يتلذذ بسماع صوتك، ويتمنى ألا تكف عن الكلام.. يجب أن تتكلم في أي شيء، علم.. ثقافة.. سياسة.. مشاكل.. أحلام مشتركة.. شئون الأولاد.. وغيرها من الأمور..

إن هذا الحوار بهذه الكيفية يُثري الروح قبل أن يُثري العقل.. ومن هنا، فإن الحوارات بين الزوجين يجب ألا تقاس بعدد الكلمات، وإنما بالمعاني المتبادلة، وبعمق الأفكار التي تحملها الكلمات!!

فالزوجان كلما زادت سنوات المعاشرة بينهما، كلما زاد اقتراحهما، وكلما عمقت العلاقة بينهما كزوجين متحابين، زادت قدرتهما على التحوار غير المنطوق.. فقد

(١) حان الوقت لزواج أفضل - د. جون كارلسون، د. دينكماير - ص ٨٠.

أصبح كل منهما قادرًا على قراءة وجه الآخر.. بل إنه يستطيع بمتابعة حركة العين أن يعرف الكثير عما يدور بخلد الآخر..

وهكذا تصبح الابتسامة أكثر تعبيرًا وتأثيرًا.. وكذلك الإيابة والحركة.

نعم.. إنها درجات أقصى من الاقتراب إلى الحد الذي يصبح فيه كأنهما شخص واحد.. فيزداد إحساس كل منهما بالآخر إلى الحد الذي لا يحتاج فيه إلى كلمات لنقله والتعبير عنه.. وبذلك يصبح الصمت بليغًا، بل ربما أبلغ من الكلمات، ويصبح له قدرة تعبيرية هائلة، فالصمت هنا معناه قمة الإحساس بالآخر.. الصمت هنا معناه أن كلاً منهما يعيش داخل قلب الآخر وعقله، وأن روح كل منهما ملتصقة بالآخر.. (١)

قد «يعتقد بعض الأزواج أنه بأفعاله تجاه بيته وزوجته وأولاده، قد أكمل ما عليه من واجبات، وانتهت مسؤولياته، وينسى أن الإطار العام للحياة الزوجية من سكن ومودة ورحمة، وهو الحب بهذا المعنى الأشمل الذي يأخذ بين الزوجين معًا في أعماق وأرحب مما يؤخذ بين غيرهما، قد شهد الانتقال من مرحلة قبل الزواج إلى ما بعده، تحولًا من التعبير بالكلمات الجميلة والهدايا والمجاملات بأنواعها، إلى التعبير الصامت غالبًا لأفعال أهم وأكثر فاعلية ودلالة من الأقوال لكنها لسوء الحظ لا تكفي.

قد يقال أن في الفعل ألف دليل ودليل على الحب أبلغ من الكلام، ولكن تلك هي نصف الحقيقة ؛ لأن الله خلق للإنسان لسانًا ففعله الكلام، وصار فعلُ الكلام سبيلًا، وعلامة على التواصل بينما عدمه دليلًا على الانقطاع.

الحوار حتى الصاخب منه علامة من علامات الحياة، حياة العلاقة ودفعها وتدفقها ومعناه أن الشريك يأنس بشريكه يهتم بأمره - ولو شغبًا أو اعتراضًا - ويجب الحديث معه ؛ يتبادلان الضحكات أو الآراء أو حتى الاتهامات، ثم يصفو

(١) هذا يختلف بالطبع عن الصمت الذي يقصد به التعبير عن الغضب أو الرفض أو فراغ الإحساس .

الجو أو يتكدر ؛ فيتجدد الحب حين يتحرك تيار التواصل، أما الصمت حين يسود فالركود والبرود وجبال الجليد تنمو وتتضخم، وربما التمس الشريك الدفء والتواصل في مكان آخر أو مع أطراف أخرى!!»^(١).

تأمل هذا الحوار..

يجلس الزوج قبالة زوجته ممسكًا بكتاب، بينما هي تنظر إلى سقف الحجرة ضجرةً ملولةً، أو بالأحرى فاترة خامدة..

إنها تشعر أن حياتها معًا قد أصابها الجفاف.. لقد انعدمت كلمات الحب بينهما..
فاتحته: منذ متى لم أسمع منك كلمة حبٍ واحدة؟
قال: ولكنني أحمل لك حبًا في قلبي أنوء بحمله.
قالت: ولكنني لا أدري عنه شيئًا.

قال: لأنه تعدى حدود الكلمات، إنه فوق الكلمات ؛ لأنه من صميم الحياة ؛ لأنه أصبح هوأنا وغذاءنا ودماغنا..

يا حبيبتى إن الزوج والزوجة كيان واحد، ولا يمكن أن يخاطب الإنسان ذاته بالكلمات..

قالت: نعم.. ولكن التعبير عن مشاعر الحب من الأمور التي تزيده وتنعشه ؛ ولذلك كان من وصايا الرسول - صلى الله عليه وسلم - إلينا : «إذا أحب أحدكم أخاه، فليخبره أنه يحبه». [رواه أبو داود والترمذي] قال: نعم.. صدقت يا حبيبتى..

وأنا أذكر تصريح النبي ﷺ بحب عائشة - رضي الله عنها -، فعن عمرو بن العاص - رضي الله عنه - قال: بعثني رسول الله ﷺ على جيش وفيهم أبو بكر

(١) المفاتيح الذهبية في احتواء المشكلات الزوجية - نبيل بن محمد محمود - ص ٢٦٥، ٢٦٦.

وعمر - رضي الله عنهما -، فلما رجعت قلت: يا رسول الله، من أحبُّ الناس إليك؟

قال: «وما تريد؟»

قلت: أحب أن أعلم!!

قال: «عائشة!!»

قلت: إنما أعني من الرجال؟!

قال: «أبوها»

ومرة يُرسل أزواج النبي ﷺ فاطمة بنت النبي - صلى الله عليه وسلم - إليه ؛ فدخلت وهو مضطجع مع عائشة في مرط لها. فقالت: يا رسول الله إن أزواجك يسألنك العدل في ابنة أبي قحافة!!

فقال لها ﷺ: «ألست تحبين ما أحب؟»، قالت: بلى!!

قال: «أحبي هذه» وأشار إلى عائشة - رضي الله عنها -.

المقصود أنه ﷺ كان يصرح بحبه لزوجته عائشة - رضي الله عنها -..

تأمل هذه الحكاية..

قابلته بالأمس فهو زميلي بالعمل؛ ولكنه لم يكن كعاداته؛ فالكآبة تعلو وجهه، وقد عهدته مرحًا خفيف الظل، لا يحمل همًّا لأي شيء، فكل شيء يعرض له يكون رده: لا مشكلة «حتى أطلقنا عليه: Mr. No Problem

فقلت له: ماذا حدث؟

فلم يجب!! فعلمت أن الأمر جدُّ، فاقتربت منه، وربت على كتفه وقلت له: دعني أشاركك الهم وأخفف عنك..

قال في أسي: إنها مشكلة كبيرة، زوجتي تريد الطلاق!!

قلت: وما سببه؟

قال: تتهمني بأنني لا أحبها، وهي لا تستطيع الحياة مع رجل لا يحبها!!

قلت له: عندها حق كم مرة قلت لها أحبك ؟ أو كم مرة عبرت لها عن
مشاعرك وعواطفك تجاهها؟

فتح زميلي عيناه في دهشة !!

قلت له: يا زميلي الحبيب، يعتمد كثير من المتحايين والمتزوجين على رصيد الثقة
فيما بينهم، ويظن أحدهم لصدقه في محبته لزوجته ولسابق معرفتها لحبه
لها، أن ذلك يكفي ؛ لاستدامة حبه عندها وبقاء علمها بذلك، وذلك
خطأ فادح يقدر في المحبة.

إن الله تعالى لم يخلق لنا العواطف إلا لتبادلها، وتعامل بها.. ولا بد للزوجين أن
يحرصا على إظهار المشاعر الحميمة لبعضهما البعض، كأن يقول الزوج للزوجة: أنا
أحبك، وتقول هي له: أنا أحبك، وينبغي انتهاز المكان والزمان المناسبين ؛ لأن
يقول الزوجان لبعضهما عبارات الحب، وبالطريقة المثل ؛ وليحرص كل واحد منهما
على التفنن في إظهار إعجابه بالطرف الآخر، وحبه وولفه به، فهذه المشاعر تذكى
جذوة الحب بين الزوجين، بل هي ضرورة لمواصلة الرحلة الزوجية كأوفق ما
يكون....

إن أكثر الأزواج يفتقرون إلى الطريقة التي تؤجج نار الحب والشوق في صدور
الزوجات، بمعنى أنهم لا يعرفون - أو يعرفون ويستحون - من إبداء عبارات
الحب فيما بينهم.. ومن ثم تصبح الحياة الزوجية جافة لا تنبض بقطرة حب !! (١)

هكذا.. وكأن القوم لا يعلمون أن النبي ﷺ كان يسابق عائشة -رضي الله عنها-
-، ويقبلها وهو صائم، بل ويباشرها وهو صائم، وكان يمص لسانها حباً وتودُّداً،
ويضع شفته الشريفة ﷺ على مكان شفته -رضي الله عنها- من الكأس الذي
شربت منه أو من عرق اللحم الذي أكلت منه، كل ذلك حباً منه وملاطفة.. بل قد
«قيل إن رسول الله ﷺ قال للسيدة عائشة - رضي الله عنها - يوماً وهو يغازلها:

(١) بل قد نسمع من يقول لشريك حياته: إستحي من هذا الكلام ، لقد كبرنا على هذه الأمور ..

«أنت أحلى عندي من تمر وعليه زبدة، فغازلته بقولها: وأنت أحلى عندي من عسل وعليه زبدة» فلو كان هذا يتنافى مع الأدب والحياء والخجل بين الزوجين لما سجل التاريخ هذا..

إن لهذه الأمور إيجابيات مذهشة، في تقوية العلاقات الزوجية فيما إذا تمت ضمن حدود الآداب الإسلامية..» (١)

خذ مثالا..

«حصل خلاف بين «سعيد» وزوجته «أسماء» في موضوع ما، وتطور الخلاف إلى نقاش حادٍ وغاضب، فناما تلك الليلة متخاصمين.

واستيقظت أسماء من نومها، وأدركت بحكمة الزوجة الصالحة، أنه يجب ألا يذهب زوجها إلى عمله وهو غاضب، فأخذت بطاقة صغيرة وكتبت عليها:

صباح الخير يا عمري، والله لم تُظلم الدنيا قط في عيني، مثلما أظلمت يوم تركتُك تنام وأنت غاضبٌ، ساعمني يا حبيبي، ووضعت البطاقة عند رأسه على سرير النوم، واستيقظ «سعيد» من نومه، ووجد البطاقة بجواره فقرأها، وقام إلى زوجته واحتضنها وضمَّها وقبلها قائلاً: أنت زوجة رائعة يا «أسماء»..

وهكذا ذهب سعيد إلى عمله منشراح الصدر مطمئن النفس، بحكمة وتصرف الزوجة الطيبة..» (٢)

إن الحب بين الزوجين لابد أن يظهر في الاهتمام المتبادل، ومتابعة أحوال شريك الحياة، والتضحية من أجله.. في اللمسات الحانية، والكلمات الرقيقة، وهذه هي حال النبي ﷺ مع زوجاته..

– عن عائشة – رضي الله عنها – قالت: «كنت أشرب وأنا حائض، ثم أناوله

(١) وصايا إسلامية في الزواج – محمد كامل الشربجي – ص ٦٤ .

(٢) لمن يريد الزواج .. وتزوج – فؤاد الصالح – ص ٣١٧ .

النبي ﷺ فيضع فاه – أي: فمه – على موضع فيّ، فيشرب !! وأتعرّق العرق – أي: آكل اللحم من العظم – وأنا حائض، ثم أناوله النبي ﷺ فيضع فاه على موضع فيّ – أي: يأكل من حيث أكلت –». [رواه مسلم].

– وعن عائشة – رضي الله عنها – قالت: قال لي رسول الله ﷺ: «إني لأعلم إذا كنت عني راضية، وإذا كنت عليّ غضبي !!، فقلت: ومن أين تعرف ذلك؟! فقال ﷺ: إذا كنت عني راضية، فإنك تقولين: لا ورب محمد !!، وإذا كنت غضبي، قلت: لا ورب إبراهيم !!

فقلت عائشة: «أجل والله يا رسول الله، ما أهرج إلا اسمك». [متفق عليه].

– وعن عائشة – رضي الله عنها – قالت: «كان رسول الله ﷺ يتكئ في حجري – وهو ما بين الفخذين والبطن – وأنا حائض، فيقرأ القرآن !!». [رواه مسلم].

أخي الزوج / أختي الزوجة..

إن المشاعر الرقيقة للحب في القلب، لا تكفي وحدها ليبقى الحب بين الزوجين؛ ولكن إظهار هذه المشاعر وإخراجها من حيز القلب إلى الرحاب الواسع هو المطلوب، فالتعبير عن الحب بين الزوجين يزيد، فهل آن أن تنظر في عينيّ شريك حياتك بعمق، وتقول له أنك تحبه بشدة، وتحب الحياة معه، وتراها حياة ملؤها الحب الخالص والشوق الحالم، وأن الحب قد صهر نفسيكما في نفس واحدة؟! وتبدأ في التساؤل العملي مع شريك حياتك..

كيف ينمو الحب؟

« في بعض الأحيان قد يبدو من الأسهل أن تقطع خيوط علاقة زوجية قائمة بدلاً من تقويتها ؛ ولكن هذا الاختيار سيكون أصعب بكثير من عمل اختيارات جديدة في علاقة قائمة ومستمرة، فأنت في نهاية المطاف مصدر السعادة لذاتك. وإذا كانت العلاقة بينك وبين شريك حياتك غير مشبعة لمشاعر الحب في داخلك، فإنك

لست بحاجة إلى أن تبحث عن زوج آخر لإشباع حاجة الحب هذه، وإنما يمكنك أن تعيد اكتشاف زوجك الحالي !! فكثير من الزوجات غير الناجحة، يمكن تحويلها إلى زوجات ناجحة إذا قرر شريكا الحياة العيش بطريقة مختلفة..»^(١)

نقول ذلك لأنه «بعد مضي بضعة سنوات على الزواج، يحفظ الشريك شخصية شريكه، وتفاصيل حياته، ولا يبقى هناك جديد يجذب الاهتمام أو يثير الفضول، فإذا لم يضع الأزواج حلولاً وطرقاً لتجديد حياتهم، تسرب الملل والسأم إليها فأفسدها، وأحل الكآبة محل السعادة..

إن على الزوجين أن يبتكرا الأساليب التي تساهم في كسر روتين الملل، وتنمية الحب والمودة بينهما»^(٢).

وذلك من خلال «إعادة إحياء الحب بينهما فترة بعد فترة، ومراجعة علاقتهما وتطويرها، والكلمة الطيبة، واللفتة الحانية، والهدية البسيطة.. والاهتمام والإنصات والإيثار في المعاملة، كل ذلك من ضرورات الحب.. هذا الحب الذي يجب أن يخرج من غطاء الصمت إلى رحابة الحوار، وأن يتحدث به وعنه الزوجان، وأن يُمارس.. فإن هذا مما يزيده وينعشه، ويقيه من المنغصات والمثبطات»^(٣).

إن السنون حين تمضي على الزواج، ولا يكون هناك جديد يجذب الاهتمام أو يثير الفضول، فإن الملل يتسرب إلى الحياة فيفسدها، وتلعب الظروف المحيطة بالإنسان دوراً مشبطاً لعزيمته وتشجع مشاعر الملل واليأس من خلال الصدمات والإحباطات المتكررة..

(١) حان الوقت لزواج أفضل - د. جون كارلسون، د. دينكير - ص ٨٦ بتصرف.

(٢) لمن يريد الزواج.. وتزوج - فؤاد الصالح - ص ٢٦٩ - ٢٧٥ بتصرف.

(٣) المفاتيح الذهبية في احتواء المشكلات الزوجية - نبيل بن محمد محمود - ص ٣٣٧، ٣٣٨.

﴿وَلَاشَكَّ أَنْ هُنَاكَ عِدَّةٌ مِنَ الْأَسَالِيبِ الَّتِي تَسَاهِمُ فِي كَسْرِ رُوتَيْنِ الْمَلَلِ، وَتَنْمِيَةِ الْحُبِّ وَالْمُودَةِ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ، وَمِنْهَا:﴾

- تبادل الهدايا وإن كانت رمزية:

فوردة توضع على مخدة الفراش قبل النوم لها سحرها العجيب، أو بطاقة ملونة عليها كلمات جميلة لها أثرها الفعال.

- النظرات التي تنم عن الحب والإعجاب:

لأن المشاعر بين الزوجين لا يمكن تبادلها عن طريق أداء الواجبات الرسمية، أو حتى عن طريق تبادل كلمات المودة فقط، بل كثير منها يتم عبر إشارات غير لفظية من خلال تعبيرات الوجه، ونبرة الصوت ونظرات العيون، والتعبير بلغة العيون أو نبرات الصوت، أو تعبيرات الوجه فن يمكن الإمام به.

- الحرص على مداعبة زوجتك وملاعببتها:

فكل ذلك عبادة وقربة بالنية الصالحة، ولا تظن أن هذا يسقط من هيبتك، أو ينزل من قدرك عندها، بل على العكس تزداد محبتُها لك بسبب ذلك، وتذكر قول النبي ﷺ: «هلا بكر تلاعبها وتلاعبك».

- نزهة قصيرة أو زيارة جميلة:

بعيداً عن المنزل لساعات قليلة تتناول خلالها طعام العشاء في إحدى المطاعم، أو السير على الأقدام وقد تشابكت الأيدي بعيداً عن الضجيج والصخب وزحمة المدينة لتشتعل المودة في القلوب..

- الجلسات الهادئة:

وجعل وقت للحوار وتجاذب أطراف الحديث يتخلله بعض المرح والضحك، بعيداً عن كل الخلافات وسوء التفاهم، وهذا له أثر كبير في الألفة والمحبة بين الزوجين.

- التفاعل بين شريكى الحياة في وقت الأزمات:

كأن تمرض الزوجة أو تحمل ؛ فتحتاج إلى عناية حسية ومعنوية، أو يتضايق الزوج بسبب ما فيحتاج إلى الدعم المعنوي، وإلى من يقف بجانبه، فالتألم لآلام شريك الحياة له كبير الأثر في بناء المودة بين الزوجين، وجعلها أكثر قرباً ومحبة لبعضهما.

- التجديد:

كل فترة مع عنصر المفاجأة، له كبير الأثر في كسر الروتين والملل، لذلك على الزوجة أن تلعب دور العاشقة، كلما شعرت بالفتور في العلاقة بينها وبين زوجها.... كل هذه ليست مثاليات أيها الأزواج والزوجات، ولكنها من الأمور التي تُشعر الزوجان بالإرتواء العاطفي..^(١)، وتهيئ المناخ العاطفي للزوجين لتجديد الحب، فالبيت «يسوده قدر أكبر من السلاسة إن احسنّا تهيئة مناخه العاطفي؟! فبدلاً من الرد على كل أزمة عند وقوعها بصورة منفعة، فإن تهيئة مناخ عاطفي يعين الزوجين على الاستجابة للحياة بدلاً من الرد على أحداثها بتوتر وانفعال..

ومن البديهي بالطبع أن البيئة العاطفية ستختلف من منزل لآخر، ومع ذلك، فإني أعتقد أنك لو تأملت في نوع البيئة العاطفية التي تفضلها أكثر من غيرها، فستجد أن هناك تغييرات بسيطة يمكن أن تبدأ في إدخالها على بيتك.. سيتطلب الأمر منك صبراً حتى يتم».^(٢)

نعم.. قد يحتاج الأمر بعض الوقت لمداواة الاستياء المتراكم، وعودة الحب من جديد ؛ لكنه أمر ممكن، ويسير حين يكون بحث الزوجين عنه صادقاً وحثيثاً ومعبراً

(١) لمن يريد الزواج .. وتزوج - فؤاد الصالح - ص ٢٧١ - ٢٧٣ بتصرف .

(٢) لا تهتم بصغائر الأمور في أسرتك - د. ريتشارد كارلسون - ص ٧-٩ بتصرف .

عن احتياج حقيقي.. وكما قيل بحق «عندما يكون الطالب مستعداً يظهر الأستاذ..»
«هناك اقتراح قد تصعب ممارسته بعض الشيء؛ ولكنه على الرغم من صعوبته،
فهو يستحق كل قطرة جهد تُبذل من أجله، ويقوم هذا الاقتراح على النظر إلى الحب
باعتباره الشيء الأهم..»

حين تصحو من نومك، تفتح قلبك وتذكر نفسك بعزمك على أن تكون ودوداً
في كل علاقتك مع شريك الحياة.. وأن تكون تصرفاتك كلها نابعة من الود
والعطف والرفق..

ولا شك أن هذا يعني أن تتغاضى عن نقائص شريك حياتك، وأن تبذل جهداً
لكي لا تُظهر انتقاداتك لهذه النقائص.. بل وتكون مع ذلك كريماً ومتواضعاً
ومخلصاً..

وأنت في كل ذلك لا تطلب من الآخر أن يحفظ لك جميلاً، بل تفعل كل ذلك
لسعادة من تحب.. وأنت تعلم «أنه لا شيء في هذه الحياة يعدل ذلك الفرح الروحي
الشفيف الذي نجده عندما نستطيع أن ندخل الفرح إلى نفوس الآخرين!..»

إنها لذة سماوية عجيبة ليست في شيء من هذه الأرض، إنها تجاوب العنصر السماوي
الخالص في طبيعتنا، إنها لا تطلب لها جزاءً خارجياً، لأن جزاءها كاملاً فيها!..

هنالك مسألة أخرى يقحمها بعض الناس في هذا المجال، وليست منه في شيء
مسألة اعتراف الآخرين بالجميل!..^(١) وهو أمر لا يشغل من يأتي هذه الأفعال
طلباً للأجر من الله.

إن ملاطفة الزوجة «وملاعبتها أثناء التعامل اليومي، هي عبادة يؤجر عليها
الزوج، إذا نوى بها التقرب إلى الله، فقد جاء في الحديث: كل شيء ليس من ذكر الله
لهو ولعب، إلا أن يكون أربعة: ملاعبة الرجل امرأته، وتأديبه فرسه... الحديث -
[رواه النسائي، وصححه الألباني في الصحيحة برقم ٣١٥].

(١) أفراح الروح - سيد قطب .

... وهذه الملاعبة والمداعبة لها صور متعددة، منها:

- أن يطعمها بيديه، أو يسقيها بيديه..
 - أن يشربا سوياً من كوب واحد..
 - أن يقصد المكان الذي شربت منه، فيشرب منه.. أو أكلت منه فيأكل منه..
 - كما كان يفعل النبي ﷺ مع أم المؤمنين عائشة..
 - الحرص على السلام عليها دائماً عند الدخول إلى المنزل، وعند الخروج منه..
 - والتقيل أحياناً^(١).
- ومحاولة أن «تضع نفسك وشريك حياتك في نفس الأجواء الرائعة التي كانت تجمعكما أيام الخطبة.. تواعدا كما كنتما تتواعدان.. واقضيا معاً أروع الأوقات.. وستشعرا بالسعادة.. من خلال إعادة ذكرى مشاعر الحب المتبادلة وتجديدها»^(٢).

أخي الزوج..

الصوت ونبرة الكلمة هي وسائط الحب المؤثرة لحاسة السمع.. و من المعروف أن المرأة على وجه العموم تشجعها الكلمات وتحرك مشاعرها.. دعها تدرك بوضوح، ومن خلال الكلمات، كم أنت معجبٌ بها الآن جدًّا، كما كنتَ في الماضي، وكما ستظل في المستقبل..

وامنحها المزيد من المؤثرات السمعية باستمرار؛ حتى تعلم أنك راضٍ عنها..
.. فهذا من شأنه أن يشجعها، ويجعلها تستوحي المزيد لإرضائك..
مثال ذلك أن تُسمعها نشيدًا عن الزوجة..

(١) زوجي أنت السبب - محمد بن صالح بن اسحاق - ص ٩٨ .

(٢) بلوغ النجاح في الحياة الزوجية - كلاوديا إنكلمان - ص ٦٩ .

زوجتي..

()

..

أختي الزوجة..

حين يتغيب زوجك في سفر أو عمل، احرص على الاتصال به، وأشعريه كيف

يُظلم البيت في غيابه..
وأسمعيه ما يُسعد قلبه، مثل:

..

..

..

أخي الزوج / أختي الزوجة..

«عندما نتفادى أن نختار التجديد، فإننا في حقيقة الأمر نكون قد اخترنا أن نبقي العلاقة الزوجية كما هي دون تغيير، فالإحجام يعني القبول بالوضع الراهن. وعملية عدم الاختيار تجعلنا نخسر الفرص للتغيير الإيجابي. وحتى إذا قررنا أن نحفظ بالعلاقة كما هي، يجب أن نكون على وعي بأن هذا هو ما اخترناه».^(١)

فإذا شعرتما أن الحياة العاطفية بينكما قد أصابها بعض الملل.. فاعلما أنه: ينبغي عليكما أن تغيرا شيئاً ما.. ثمة تغييرات صغيرة تكون كافية لإبعاد هذا الملل.. مثل تخصيص عطلة نهاية الأسبوع لنزهة أو حوارٍ رقيق.. لا تقولوا إن مشاعر الحب والاهتمام قد اختفت من حياتكما، فإنها تعود - بإذن الله - عندما يتغير سلوككما..، فإنه من «الجميل والرائع فعلاً أن نمنح شريك حياتنا باستمرار مشاعر الحب والحنان الرقيقة سواء كان ذلك من خلال الكلمات أو من خلال الأعمال، أو حتى من خلال الفكر!!

ربما اكتشفتَ - أخي الزوج / أختي الزوجة - من تلقاء نفسك في تلك اللحظات بالذات، أنه لم يُسبق لكما أن شعرتما معاً بشعور رائع كمثل هذا الشعور في هذا اليوم..

دع / دعي تلك اللحظات تتكرر باستمرار فيما بينكما، فحين ذلك ستكونين

(١) حان الوقت لزواج أفضل - د. جون كارلسون، د. دينكاير - ص ٧٩ بتصرف .

أميرة أحلامه التي تتوق نفسه إليها دومًا». (١)
وسيكون ذلك هو المقدمة الرائعة لـ..

الانسجام الحسي..

يتوق كل من المرأة والرجل إلى الشعور بأنه محبوبٌ.. ويريد المزيد من المودة والقرب مع شريك الحياة..

ولكن كلا الجنسين يتخذ إلى هذا الهدف، طريقًا مختلفًا عن الآخر..
فالرجل يسعى لتحقيق القرب العاطفي عن طريق التقرب الجنسي، أي من خلال الفعل الملموس..!!
أما المرأة، فتحقق لنفسها القرب العاطفي من خلال الحديث المتبادل، وتبادل الأفكار والمشاعر.. (٢)

وهذا «من الفروقات الهامة بين الرجل والمرأة، طريقة التعبير عن الحب، فالرجل يُعبّر عن الحب بالجنس، بينما المرأة تعبر عن الجنس بالحب في الغالب..
فالرجل يفهم الحب من خلال الجنس، وهو إذا أراد أن يُعبّر عن رغبته في الجنس، أظهر معاني وكلمات المحبة، وإذا أراد أن يتأكد من أن زوجته تحبه، دعاها للفراش أو لاحظ استجابتها الجنسية تجاهه!!

من هنا تعلمين - أختي الزوجة - حرص الإسلام على استجابة المرأة لطلب الزوج في العملية الجنسية، وأن هذا الحق حق فوري للرجل..!! ربما كان السبب أن رفض الزوجة لزوجها في ذلك الوقت قد يترك أثرًا كبيرًا في النفس.. بمعنى أن الزوج يفهم رفض زوجته مشاركتها الجنس، يفهمه على أنه دليل عدم حبّها له!!» (٣)

(١) بلوغ النجاح في الحياة الزوجية - كلاوديا إنكلمان - ص ١٦٢ .

(٢) راجع إن شئت الباب الأول " في أعماق إنسان " - فصل " الاختلاف الرائع " .

(٣) كيف تكسبين محبوبك ؟ - د. صلاح الراشد - ص ٨٣ بتصرف .

قصة من الحياة..

« هو مسافر في عمل لمدة أسبوعين
هي وحيدة في المنزل..
كل يفتقد الآخر، يتحدثان معًا هاتفياً كل مساءً.. ولكن هذه المكالمات الهاتفية
تكون غالباً قصيرة جداً، فالأمور الهامة تُقال بسرعة، فضلاً عن كونه هو لا
يجب المكالمات الطويلة الباهظة الثمن !!
يكبر الشوق بينهما شيئاً فشيئاً على مدى الأسبوعين.. وحينما يأتي يوم اللقاء
يرغب الاثنان في الشعور بالقرب من الآخر..
هو يرغب بحرارة، وبمجرد دخوله المنزل أن يبدأ في العلاقة الحميمة..
هي.. يعتريها الدهول، وخيبة الأمل في ذات الوقت.. فقد فرحت بعودته،
وأرادت قبل كل شيء أن تتحدث معه بمنتهى الهدوء.. تسأله عن سفره وما
حقق فيه.. وتسأله عن مدى افتقاده لها..
هي أيضاً تريد أن يسألها هو، كيف أمضت وقتها في غيابه ؟ وهل شعرت
بالوحدة بدونه ؟
هي تفرح بتلك المحادثة بينها وبينه، فهذا يعطيها شعور القرب منه... ثم يأتي
بعد ذلك القرب الجسدي.
هو أيضاً يريد هذا القرب، ولكنه يرى الطريق إليه هو التقارب الجسدي..» (١)
هنا.. غالباً ما يكون الجمود سيد الموقف؛ لأنه هو يشعر أنها صدته ورفضته،
وهي تشعر بأنه لا يفهمها..
ولذلك نؤكد هنا على أهمية الاندماج العاطفي قبل الاندماج الجسدي،
«فليست العلاقة الحسية مجرد التصاق بين جسدين ؛ ولكنها في المقام الأول اندماج

(١) بلوغ النجاح في الحياة الزوجية - كلاوديا إنكلمان - ص ٣٢٠ - ٣٢٢ بتصرف .

بين شخصين، ومن ثم فلا بد من الاندماج العاطفي قبل الاندماج البدني، وهذه مسألة ضرورية لكلا الزوجين، ومن أكبر الأخطاء أن يظن إنسان أن المغازلة تنقطع بعد فترة من الحياة..

إن انقطاع المغازلة العاطفية، يفقد الزواج عذوبته، ويجعل خيال الزوجين فقيرًا مجددًا، بل سرعان ما يتحوّل الزواج إلى مجرد أمر واقع أو تأدية واجب اجتماعي، أو ربما تحوّل إلى تقييد خانق للحياة!!

إن المغازلة العاطفية بين الزوجين تُنْعِش الحياة الزوجية، وتجدد نشوتها يومًا بعد يوم، بالرغم مما يبتاعها من مشاق ومتاعب لا مفر منها^(١).

ومن هنا فإن على الزوجين أن يجعلها بينهما رسول؟! فقد جاء في بعض الآثار: «لا يقعن أحدكم على امرأته كما تقع البهيمة، وليكن بينهما رسول قيل: «وما الرسول؟»

قال: «القبلة والكلام».

وهو المعنى الذي أراده - صلى الله عليه وسلم - في وصيته لمن أراد الزواج في الحديث الصحيح: «هلاً بكمراً تلاعبها وتلاعبك!!»

فإن الوصية بـ «القبلة والكلام» و «المداعبة والملاعبة» أوسع من أن تكون في لحظات ثم تحبو!!

وهي ليست لغة «المساء» فحسب!!

إنها هي لغة تحفّ كل الحياة الزوجية في كل حروفها ومصطلحاتها...

وحين تكون القبلة والكلام هي لغة «المساء» فحسب، فإن ذلك ينغص العيش ويكدره، ويضيع حلاوة اللقاء، فيتحوّل إلى لقاء «ميكانيكي» ينتهي بانتهاء ضجيجيه.

«وهناك أمور يمكن من خلال الأخذ بها أن نصل إلى علاقة زوجية قوية ومليئة بالشوق والرغبة المتبادلة.. منها:

(١) لمن يريد الزواج.. وتزوج - فؤاد الصالح - ص ١٢٤ .

أولاً - حسن اختيار وقت اللقاء الزوجي.. من خلال تهيئة الظروف لإشباع كامل، ولا بأس من ترتيب يوم أو ليلة لكي يجد الزوجان مساحة خاصة للعلاقة بينهما في الفراش، وفي التواد والتراحم بشكل عام في وجبة طعام أو جلسة استرخاء أو كوب شاي في هدوء دون صراخ الأطفال أو بكائهم..

ثانياً - أن يحرص الزوجان على الاستمرار في فراش واحد، وألا يكون الحل السهل أن يكون لكل منهما برنامج يومي، فينفصلا شعورياً، ويصبح اللقاء فقط على مائدة الطعام، أو عندما يخرج الزوج مرهقاً، أو عند مناقشة أمور الحياة المادية!!

ثالثاً - تجديد العلاقة الحميمة، والتعامل مع هذه العلاقة بتجديد أوضاعها أثناء المعاشرة، والتفاعل بين الزوجين والجسدين، فضلاً عن الكلمات الجميلة التي تربط النفس برباط الحب والإخلاص، وتحقيق الدفء المستمر في علاقة تنمو وتثري مع الأيام^(١).

وهكذا، يُشبع «الزوج رغبات زوجته العاطفية، ويُطرب أسماعها بكلامه الجميل الرائع... وتُشبع الزوجة رغبات زوجها العاطفية، وتُسحره بالسحر الحلال من النظرة والبسمة والكلمة والهمسة.. فتُصبح العلاقة الزوجية أمتع وأجمل.. وتكون بين الزوجين المودة، وتحكم علاقتهما الرحمة..»^(٢).

أخي الزوج / أختي الزوجة

إن كلامك وأفعالك وتصرفاتك تجاه شريك الحياة أثناء التعامل اليومي له كبير الأثر على دفء العلاقة الحسية بينكما!!..

فإذا كان التعامل اليومي يقوم على الكلمات الرقيقة، والبسمة الجميلة، والاحترام؛ فإن اللقاء الحسي يكون رائعاً، وممتعاً أيضاً.

أمّا إن قام التعامل اليومي على القسوة، والإهمال، والاستهزاء والسخرية، فإن اللقاء الحسي لا يحمل للزوجين إلا السلبية، وربما التهمة الحسية التي تسبب

(١) المفاتيح الذهبية في احتواء المشكلات الزوجية - نبيل بن محمد محمود - ص ٢٠١ - ٢٠٣ بتصرف .

(٢) لمن يريد الزواج .. وتزوج - فؤاد الصالح - ص ٢٨٣، ٢٨٤ بتصرف .

الإرهاق النفسي!! ()

نعم.. إن العناق بين زوجين غير المتحابين كتنظيف الأسنان بفرشاة غير جيدة.. ينظف الأسنان ؛ ولكنه يترك اللثة ملتهبة !! ولذلك فإنه من الضروري أن يسبق الانسجام الحسي انسجامًا آخر، يمكن أن نطلق عليه..

الانسجام الروحي..

تتمتع العلاقة الزوجية بدرجة عالية من الحساسية.. ؛ ولذلك يجب الاعتناء بها جيدًا وبانتظام من خلال مشاعر الحب، وإشارات المودة والرحمة من العينين، واليدين، واللسان.. وأيضًا من خلال العلاقة الحسية بين الزوجين ؛ ولكن هذه العلاقة مهما ارتفعت، فيجب ألا تطغى على العلاقة الفكرية والروحية بينهما، كما يجب ألا تؤثر في المشاركة النفسية بينهما.. فالزوجان يظلان حبيين ما استمرت بينهما المشاركة، في الحياة الحسية والانسجام الروحي في ذات الوقت.

إن اللذة الحسية مهما تنوّعت ومهما ارتفعت، فلن تجلب السعادة إلى الزوجين حتى يكون بينهما الحبُّ بمعناه الروحي النفسي الذي يعني الامتزاج النفسي، بنفس قدر الامتزاج الجسدي بين الزوجين..

وكلُّ من يملك نفسًا سويّةً يدرك أنه لا يمكنه أن يصل إلى السعادة عبر اللقاء الحسي فقط دون الحب الروحي.. بل إننا نؤكد أنه لا يستطيع أن يداعب زوجته إلا إذا كان مدفوعًا بالحب الذي يمزج النفس بالبدن، فإذا أعوزه الحبُّ لم يستطع المداعبة، واستحال عليه الإقدام عليها..!!

أمّا حين يربط الحب بين زوجين، فإنها يتطلعان إلى تحقيق هدف من لقاءهما الحسي هو رغبتها المشتركة في أن يصيرا شخصًا واحدًا، يسعى إلى هدف واحد، مدفوعًا بـ «الحب» وهو ما أضاءته بنورها هذه الآية ﴿ هُنَّ لِيَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِيَاسٌ لَهُنَّ ﴾ .

(١) مستفاد من محاضرات صوتية لـ "د. جون جراي" - Mars and venus in the bedroom

.. فإن احتياج كل إلى صاحبه كاحتياجه إلى اللباس، وكل منهما كاللباس لصاحبه.. أليس الانسجام بينهما موجودًا؟ أليس السخاء مبدولًا؟ بل أليست الأسرار مكتومة؟ كلٌ يفضي إلى الآخر بخبيثة نفسه، يحدثه بما يخفيه عن الناس لاستوائهما في السراء والضراء والعسر واليسر والفرح والحزن... أليس يعقها ويحصنها.. وأليست هي تُعفه وتحصنه؟ فحاجة كل منهما إلى الآخر حاجته إلى اللباس..!!»^(١)

«فليكن بين الزوجين حبٌّ، وليكن بينهما تعلقٌ، ومشاركةٌ متبادلة في أمور الفكر؛ ولكن لا بد من الود الخالص والوفاء العميق الكامل في كل لفظ وعمل، ومع ذلك فليترك كل من الزوجين لزوجته فراغًا كافيًا، وراحةً كافيةً، ووقتًا كافيًا، وليحترم كل منهما شخصية زوجته ورغبته في أن يخلو أحيانًا إلى نفسه، وليتعلم كل منهما متى يترك الآخر لنفسه، وكيف يتركه؟»^(٢) وكيف «يتجنب عادة اعتبار الأحداث السلبية موضوعًا أساسيًا للحوار في فترة المساء..

وعندما يقضي على تلك العادة في مهدها، سيكون على وعي أكبر فيما يتعلق بالكثير من الأمور المبهجة التي تحويها الحياة، وسوف تنتشر تلك البهجة في العلاقة بينه وبين شريك حياته، فينتهي بها المآل وقد شعر كل منهما بالميل الشديد تجاه شريكه»^(٣).

وعندها سيجد الكثير من الوسائل للسعادة بينه وبين شريكه منها:

«العاطفة القوية التي تدفع الإنسان إلى العمل لإسعاد الآخرين والتضحية في سبيل ذلك..

- الإسراع في تحسين العوامل والأسباب التي تزيد الجاذبية؛ ليظل النفور خامدًا نائمًا لا سبيل أمامه للنمو.

(١) في ظلال القرآن - سيد قطب .

(٢) الزواج المثالي - فان دفلد - ص ٤٤٤ بتصرف .

(٣) لا تهتم بصغائر الأمور في العلاقات الزوجية - د. ريتشارد كارلسون، و كريستين كارلسون - ص ١٠٩ .

ولا تظن أن هذه أمورٌ مستحيلةٌ أو صعبةٌ.. بل على العكس إنها وسائل سهلة وبسيطة، وبخاصة إذا تنازل كلٌّ من شريكي الحياة، فرضى بمقابلة شريكه في منتصف الطريق محاولاً التفاهم معه، مستعداً لإرضاء حاجاته، حريصاً على راحته وإسعاده، مهتماً بالأمر الصغير، مظهرًا الحب والحنو، مستعيناً بالله ثم بالذكاء والابتكار في إرضاء شريك حياته وتلبية رغباته، متوسعاً في الوسائل التي يمكن عبرها إمتاع شريكه عبر الوسائل المبتكرة والمتنوعة الكثيرة..» (١)

﴿ حتى آخر العمر ﴾

«بعض الناس يفضلون الخريف.. ينتظرونه، يترقبونه، يبهجهم الخريف أكثر من الربيع.. يجدون في تساقط الأوراق جمالاً؛ ربما أكثر جمالاً من تفتح الورود.. يجدون في الشجرة الجرداء وقاراً يوحي بجمال راقٍ... يجدون في كل ذلك معنى وقيمة وعمقاً.. ومن ثم فهم لا ينزعجون حين يتخطون الخمسين.. لا يشعرون بالانطفاء؛ ولكن بالتوهج، ولا تقلقهم التجاعيد الزاحفة، ولا الشعيرات البيضاء المتناثرة ربما بكثافة.. بل يرتشفون حاضرمهم بتلذذ.. ويدركون أنه وإن كانت القوة الجسدية تتراجع رويداً رويداً، فإن هناك قوى أخرى تتزايد.. تلك القوى المعبرة عن معنى الإنسان، وأهمها قوة الروح.. تلك الروح التي تمنح الجسد المتراجع قوة من نوع جديد، تزيد من روعة الأحاسيس...

التي تجعل الرجل والمرأة مهما بلغ عمرهما قادرين على ممارسة الحب بكل أشكاله مع شريك حياته.. ربما بكفاءة أفضل من أبناء العشرين.. فلديهما رصيد من خبرة وألفة.. كلٌّ منهما يستطيع أن يرى تعبيرات وجه الآخر في الظلام، كل منهما يستطيع أن يُنصت بفهم إلى أنفاس الآخر.. كل جزء من جسمه يستطيع أن يقيم حواراً مع كل جزء من جسم شريك حياته.. بل إن هناك حواراً روحياً عذبا يدور بصفة مستمرة وهما صامتان...!!!

وإذا هما يمارسان الحب يستعينان بكل الذكريات الحلوة في ممارسات سابقة تعد بعشرات المئات.. إنه مذاق مستمر، ونكهة دائمة، وإحساس متجدد، ونبض قلب

(١) الزواج المثالي - فان دفلد - ص ٨٤، ٨٥ بتصرف .

لا يتوقف، وحركة روح لا تهدأ ونشاط فكر عاشق..

وهمٌ كبير أن الجنس غير متاح للمتقدمين في العمر، بل هو متاح بصورة أروع وأمتع ؛ لأنه يعلو بهما في أعلى سماء ؛ فتصبح نشوة الروح في أقصاها حتى إن كانت هزات الجسد في أدناها..»^(١).

إن الشهوة المتعجلة في بداية الزواج قد استوت على الجودي، وترسخت العلاقة بالعيش المشترك، ومعرفة أعماق نفس الآخر..^(٢)

... الأمر هنا يتوقف على إلى أي مدى تتوفر المودة والرحمة بين الزوجين؟! إلى أي درجة هما متقاربان ؟ هل يعيشان كالغرباء، بحيث يكون العطاء مساوياً للأخذ؟... وإذا حدث أي خلل في الميزان ؛ يشعر الطرف الآخر في العلاقة بالغبن والظلم.. أم هما قريبان إلى الدرجة التي يشعر كل منهما أنه أمٌّ أو أبٌ للطرف الآخر، يعطيه دون أن ينتظر المقابل، ويتفانى في إسعاده ورضائه؟!!

فالزوجان المحبان «يتمنى كل واحد منهما أن يكون بضعةً من الآخر، شريكاً في نفسه، شريكاً في حياته العميقة، شريكاً في أفكاره ومشاعره، وآماله، وأحلامه ومطامحه، وكذلك في ألمه، وغضبه، وحبّه، وشوقه، وذكرياته.. حتى لو كانت مؤلمة»^(٣).

و«العلاقة الزوجية ليست فقط مشاعر الحب والعاطفة ؛ ولكنها أيضاً الاستعداد للتضحية، أو التصرف لمصلحة الطرف الآخر على حساب المصلحة الشخصية، ولعلّه من المفيد هنا أن نُميّز بين مشاعر الحب، وبين أعمال الحب.. فالمشاعر هامةٌ وأساسيةٌ، وأمّا أعمال الحب من التضحية والبذل للآخر فمن شأنها أن تحافظ على العلاقة الزوجية السعيدة والدافئة»^(٤).

إن العلاقة الزوجية هي علاقة ذات طبيعة خاصة.. ليس كمثلها علاقة.. إنها تحتوي على شيء من كل علاقة.. ففي مضمون علاقة الزوج بزوجه شيء من رعاية الأب

(١) متاعب الزواج - د. عادل صادق - ص ٢٠٠ - ٢٠٠٦ بتصرف .

(٢) راجع إن شئت " الباب الأول: في أعماق إنسان " .

(٣) المفاتيح الذهبية في احتواء المشكلات الزوجية - نبيل بن محمد محمود - ص ٧٢

(٤) التفاهم في الحياة الزوجية - د. مأمون مبيض - ص ٢٢٦ .

لأبنائه، وحنان الأم على أطفالها، ومساندة الأخ لأخيه.. زد على ذلك إحساس الزوجين بالمسؤولية المشتركة عن البيت، ومن بعد ذلك بالأطفال.. ثم من بعد ذلك تلك العشرة الطويلة التي تخلق الألفة وتذهب عن الإنسان أحاسيس الوحشة والاغتراب.. وتُبقي الحب بين الزوجين، ليس فقط حتى خريف العمر، بل «حتى آخر العمر»..

أخي الزوج / أختي الزوجة..

حين تشعر ببرودة منزلك فإنك تحاول تدفئته بطريقتين..

الأولى _ غير مباشرة، بأن تغلق النوافذ؛ حتى لا يدخل إليك الهواء البارد

والثانية _ الطريقة المباشرة السريعة، وهي رفع درجة حرارة المدفأة.. وعندها سيعم الدفء منزلك..

وفي الحقيقة، فإن العلاقة الزوجية تشبه إلى حد كبير هذا الموقف.. فيمكن لكل من الزوج والزوجة أن يخلقوا جوًا من الدفء الزوجي، عبر إصلاح ما من شأنه أن يُعكّر صفو العلاقة..

ولكن الطريقة الأسرع للوصول إلى ذلك، أن يرفع كلٌ منهما درجة حرارة العلاقة مع شريكه.. وهذا يعني أن يكون أكثر عطفًا، وأن يكتر من مدح شريكه، ويقلل من نقده.. وألا يقوم بدور القاضي الذي يحكم على سلوكه.. بل يلتزم التسامح والصبر..

كما يعني أن يقوم كلٌ من شريكي الحياة بالتغييرات الإيجابية المطلوبة، وممارسة السلوكيات التي يمارسها المتحابين!!..

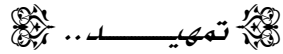
وعندها يتحوّل «جفاف الحب» و «صقيع المشاعر» و «جمود الأحاسيس» الذي يعتري الحياة الزوجية إلى دفء متدفق مثير..



الفصل الثالث

حين تنطلق المشاعر الإنسانية في سماء المحبة.. و يحاول الزوجان غرس شجرة المودة والرحمة في أرض الزواج الغنية الخصبة.. و تتطلع أرواحهما إلى كل ما هو جميل، و تذوق حلاوة الحب ولذة القرب.. وتتحد أرواحهما وأجسادهما، لتصبح كيانًا واحدًا يملؤه الشوق إلى ذرية تقر بها عينيها.. حينها يصبح الحديث الهامس حول الحياة الجنسية، حقائق علمية لا بد من معرفتها..

ومن هنا كان هذا الفصل ؛ لتتعلم هذا الأمر بعيدًا عن الوسائل المحرمة، و لنمارس هذا الـ « جزء » من حياتنا، وفق منهاج الله الشامل لـ « كل » الحياة..



تضمّن القرآن الكريم، والسنة المطهرة آدابًا، وتوجيهات كثيرة في مجال التربية الجنسية، كما تناول القرآن العلاقة الحميمة بين الرجل والمرأة في آيات صريحة، وتعرّض لبعض دقائقها بوضوح وحسم..

وجاءت السنة النبوية قولاً وفعلاً وتقريراً ؛ لترشد الناس إلى تفصيلات دقيقة بشأن اللقاء بين الزوجين..

ومع أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – كان أشد حياءً من العذراء في خدرها، إلا أنه تكلم ﷺ في مسائل العلاقة الجنسية بين الزوجين وأجاب السائلين عنها، ولم يكن من حيائه ولا ورعه أن يغلق هذا الباب في وجه من يسأل، وهذا ثابت بالأحاديث الصحيحة.

بل أجاب ﷺ السائلين عن دقائق تلك العلاقة رجالاً ونساءً، و أمر بعض أمهات المؤمنين أن ترشد امرأة إلى شأن من أخص شئون النساء، مما جرت العادة أن الرجل لا يتحدث به إلى امرأة..^(١)

تروي السيدة عائشة: أن امرأة من الأنصار، سألت النبي ﷺ عن غسلها من المحيض، فعلمها النبي كيف تغتسل.

ثم قال لها: «خذي فرصة ممسكة – أي: قطعة من القطن بها أثر الطيب – فتطهري بها»

قالت: كيف يا رسول الله أتطهر بها؟

فقال لها: «سبحان الله، تطهري بها!!»

قالت السيدة عائشة، فاجتذبتها من يدها، فقلت: ضعيفا في مكان كذا وكذا، وتتبعي أثر الدم، وصرحت لها بالمكان الذي تضعها فيه [رواه البخاري ومسلم]..

وهذه امرأة رفاعة تريد الرجوع إليه بعد الطلاق البائن، وتقص على رسول الله ﷺ سبب ذلك فيتبسم..

«عن عائشة رضي الله عنها قالت: أن رفاعة القرظي طلق امرأته، فأبى طلاقها، فتزوجت بعده عبد الرحمن بن الزبير، فجاءت النبي ﷺ، فقالت: يا رسول الله! إنها كانت تحت رفاعة، فطلقها ثلاث تطليقات؛ فتزوجت بعده عبد الرحمن بن الزبير، وإنه والله ما معه إلا مثل الهدبة، وأخذت بهدبة من جلبابها.^(٢)

فتبسم رسول الله ﷺ ضاحكاً، وقال: «لعلك تريدين أن ترجعي إلى رفاعة؟.. لا حتى تذوقي عسيلته^(٣) ويذوق عسيلتك». [رواه البخاري ومسلم].

(١) لمزيد من التفاصيل، راجع إن شئت كتاب "اللقاء بين الزوجين - عبد القادر عطا، موسوعة"

تحرير المرأة في عصر الرسالة - عبد الحليم أبو شقة - ج ٦

(٢) هدبة الثوب: طرفه الذي لم ينسج، وتعني أن متاعه رخوا كهدبة الثوب.

(٣) عسيلته: وهي كناية عن الجماع؛ شبه لذته بلذة العسل وحلاوته.

وفي رواية أخرى: أن رفاعه طلق امرأته، فتزوجها عبد الرحمن بن الزبير، قالت عائشة - رضي الله عنها -، فجاءت وعليها خمار أخضر، فشكت إليها - أي: إلى عائشة - من زوجها وأرتها خضرة جلدها، فلما جاء رسول الله ﷺ والنساء يبصرن بعضهن بعضاً، قالت عائشة: «ما رأيت ما يلقي المؤمنات، لجلدها أشد خضرة من ثوبها، وسمع زوجها ومعه ابنان له من غيرها، قالت: والله مالي إليه من ذنب إلا أن ما معه ليس بأعني عني من هذه - وأخذت هدبة ثوبها - فقال: كذبت والله يا رسول الله، إني لأنفضها نفص الأديم؛ ولكنها ناشزة تريد رفاعه، قال: فإن كان ذلك لم تحل له» (١)

ويعبر الصحابي صفوان بن معطل - رضي الله عنه - عن الطبيعة الجنسية الملحة عند الشباب، لما شكته زوجته إلى رسول الله ﷺ في منعها من صيام النفل، وإطالة الصلاة، بقوله: «إنها تنطلق فتصوم وأنا رجل شاب فلا أصبر» فاعتذر بطبيعة الشباب، وميلهم لكثرة الجماع، فأقره النبي ﷺ على ذلك، ولم ينكر عليه.. [رواه أبو داود، وصححه الألباني].

وجاء في صحيح ابن حبان أن أحد التابعين، سأل عطاء بن رباح - وهو من أئمة التابعين - سأل: هل يجوز للمرأة أن تنظر إلى فرج زوجها؟ فقال له: سألت عائشة - رضي الله عنها - فذكرت لي حديث «كُنَّا نغتسل مع رسول الله ﷺ في إناء واحد..» فانظر كيف يسأل مثل هذا الإمام السيدة عائشة عن هذا الأمر ولا يجد فيه حرجاً، هذا أمر يتعلق بالدين يريد أن يعرف الحكم الشرعي فيه، حلال أم حرام..» (٢).

لقد «تعود الناس أن يعالجوا هذا الأمر بالكتمان والتغطية عليه، واعتباره أمراً لا يجوز الحديث عنه أو الخوض فيه، لما فيه من خدش الحياء - بزعمهم - أو منافاة

(١) المفاتيح الذهبية في احتواء المشكلات الزوجية - نبيل بن محمد محمود - ص ٣٣، ٣٤.

(٢) د/ يوسف القرضاوي - برنامج الشريعة والحياة - قناة الجزيرة - راجع موقع www.qaradawi.net

للأدب - كما يتوهمون - !!

مع أن هذا لم يكن هو السائد في ثقافتنا الإسلامية، فالفقهاء يعرضون لهذه الأمور في كتاب الطهارة في نواقض الوضوء، وموجبات الغسل، والحيض والنفاس والاستحاضة، ويتعرضون لها في فقه الأسرة: في حقوق الزوجية، وفي العيوب التي يفسخ بها النكاح، وفي غير ذلك من الأبواب..» (١)

و كان المسلمون يتعلمون هذه الأشياء من قديم في جمع من الجد والوقار، في دروس العلم.... ويتحدث فيها الشيخ في المسجد، والناس تسمعه، في جو تغلب عليه الجدية ولا يشعر الناس بغضاضة في هذا..

فليس في الحديث عن مسائل الجنس، والعلاقة الجنسية بين الزوج والزوجة مأثماً، وإنما المأثم في طريقة العرض. «يقول الإمام ابن قتيبة - رحمه الله - في كتاب النساء: «.... وإذا مر بك حديث فيه إفصاح بذكر عورة فلا يحملنك الخشوع أو التخاشع على أن تصعر خدك فتعرض بوجهك، فإن أساء الأعضاء لا تؤثم، وإنما المأثم في شكل العرض وقول الزور والكذب وأكل لحوم الناس بالغيب.. قال رسول الله ﷺ: من تعزى بعزاء الجاهلية؛ فأعضوه بهن أبيه ولا تُكنوا» (٢).

إن مسائل الجنس وأحكامه ليست بدعاً من المسائل والأحكام «وليست خصائص الجنس الجسدية بدعاً بين خصائص الجسد، وليس الجنس كعملية حيوية بدعاً بين العمليات الحيوية التي يقوم بها الإنسان من طعام وشراب وغيرها..

ومن هنا لا يضع الإسلام حاجزاً نفسياً خاصاً أمام الجنس، غير ما يضعه لغيره من ألوان النشاط البشري، لا في طريقة الحديث عنه، ولا فيما يصرح به منه أو يمنع» (٣).

(١) د / يوسف القرضاوي، في التقديم لكتاب "الطلاق .. آثار وعواقب" - الدار العربية للعلوم،

وراجع أيضاً موقع islamonline.net

(٢) هدية كل عروس - الشيخ / محمد بن رزق بن طرهوني - ص ١٦١ .

(٣) منهج التربية الإسلامية - محمد قطب - ج ٢ ص ٢١٥

ومن هنا «فلا ينبغي لنا أن نعتقد حرمة الحديث عن القضايا المتعلقة بالجنس، وتعلّم الاتجاهات الصحيحة في ذلك، بل إننا نزعم أنها ليست جائزة وفقط، بل واجبة في بعض الأحيان إذا ترتب عليها أحكاماً شرعية!!»^(١).

إن «ميل الزوجين إلى المعاشرة الزوجية حاجةً بشرية نفسية، وعبادة ربانية نود أن تُؤدى بإحسان يُرضي الرب، ويُشبع النفس والطرف الآخر، وإن لم تكن كذلك فإن الرغبات النفسية لا تشبع ولا تموت، بل تظل داخل النفس حيةً متوقدة.

وعلى الرغم من أن المعاشرة بين الزوجين تشكل نسبة قليلة من وقت الزوجين في حياتهما، إلا أنها أمر أساسي وجوهري في هذه الحياة»^(٢).

ومن ثم، فإنه لا يجوز أن نتركه لتتحكم فيها نصائح الجاهلات والجاهلين.. بل لا بد من تفهمهما تفهماً صحيحاً، فكلما زاد فهمنا ووعينا بهذه العلاقة زاد استمتاعنا بالحياة الزوجية وبما وهبنا الله وأحلّه لنا وكتب لنا فيه الأجر والثواب، وإلا، بقيت تلك القضية مشارق قلق، وحيرة، ونكد، وتصادم في العلاقة بين الزوجين.

«إن الكثير من الأسر لا تجعل هذا الموضوع من قضايا الفتاة قبل الزواج؛ لأنهم يظنون إن من الستر والعفاف أن تظل المرأة جاهلةً تماماً، كيف تلبّي حاجات زوجها الفطرية؟ وهذا يؤدي في النهاية إلى تعكر الحياة الزوجية.. بل ربما يؤدي إلى قتل الرغبات الفطرية للزوجين، ومن ثم يقضي على المودة والرحمة، فربما انتهى الأمر إلى الطلاق!!»^(٣).

كما أن الكثيرين ممن كتبوا في العلاقة بين الزوجين «أغلقوا هذا الباب، وحاموا حوله، فتحدثوا عن أدب الخطبة، وأدب الزفاف، وأفاضوا في الحديث عن واجبات

(١) منهج التربية الإسلامية - محمد قطب - ج ٢، ص ٢٣٤.

(٢) كيف تبني بيتاً سعيداً - د / أكرم رضا - ص ١١١

(٣) الزوجة - الشيخ / أحمد القطان - ص ١٩، ٢٠

كل من الزوجين نحو الآخر في كل شيء، إلا في العلاقة الجنسية، فقد مروا عليها مرور عابراً. باعتبار أن هذا الموضوع من الموضوعات الشائكة في المجتمع المسلم - وهذه حقيقة - إلا أن الجهل به قد أورث بيوت الإسلام شقاقاً ونفوراً، وأنتج بيوتاً يقف أصحابها فاغرين أفواههم من الابتسام أمام الناس، ثم هم بعد ذلك يعيشون حياة تعيسة، بسبب عدم إحسان شريك الحياة إشباع رغباتهم، والوصول بالعلاقة الزوجية إلى الحميمة التي يبقى معها الحب...!!

ومن هنا كان ولوج هذا الموضوع ضرورياً، وفتح الحوار حوله لازماً، وتعلم حقائقه واجباً حتى يحفظ البيوت المسلمة من الهدم أو السقوط..

﴿رُقِيَ الحب الجسدي..﴾

الجنس في التصور الإسلامي، عاطفة راقية حقيقية لا تنتهي بانتهاء اللحظة الجسدية الغليظة، وإنما تقوم على أساس من المشاعر الراقية التي تجعل من التقاء جسدين.. التقاء نفسين وروحين.. تربط بينهما حياة مشتركة، وآمالاً مشتركة، وآلاماً مشتركة، ومستقبلاً مشتركاً، يلتقي في الذرية المرتقبة، ويتقابل في الجيل الجديد الذي ينشأ في العش الزوجي..

والتعبير القرآني: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾. تصوير رائع لعلاقة الجسد وعلاقة الروح في آنٍ واحد، فاللباس ألصق شيء ببدن الإنسان، وهو الستر الذي يستتر به، وهو في الوقت ذاته مفصل على قده لا ينقص ولا يزيد..

والرجل والمرأة ألصق شيء ببعضهما ببعض: يلتقيان فإذا هما جسد واحد وروح واحدة. وفي لحظة يذوب كل منهما في الآخر فلا تعرف لهما حدود.

إن اللقاء الجسدي - كجزء من الزواج - إذا لم يتم بين النفوس والقلوب أولاً، سيتحول إلى عذاب متبادل يُعذَّب فيه كل طرف الآخر بدلاً من أن يُمتعه؛ لأن تزواج القلوب والنفوس يُحوّل هذا التواصل الجسدي إلى لغة للتعبير عن الحب بين

الزوجين، يعبر فيها كل طرف للآخر بلغة الجسد عن حبه، عندما تعجز لغة الكلمات عن التعبير، أو استكمالاً للغة العيون، أو تسهياً للغة الآمال والأحلام والأفعال.

اللقاء الجسدي هنا ليس وظيفة أو أداء لواجب أو تخلصاً من رغبة جسدية فائرة، بقدر ما هو أثر حقيقي مثالي لتوحد الأرواح في مشاعرها وعواطفها. لذا فعلى كل زوجين أن يبحثا أولاً في الزواج النفسي، وكيف يطمئن كل طرف إلى الآخر وينجذب إليه؟ وكيف تلتقي الأرواح قبل الأجساد؟.. ذلك أن العناق بين زوجين غير متحابين يشبه إلى حد كبير تنظيف الأسنان بفرشاة غير جيدة، فهو ينظف الأسنان، ولكنه يترك اللثة ملتهبة..

إن مما ينبغي أن يدركه الأزواج أن «الاتصال الجنسي بين الزوجين ليس مجرد رغبة جنسية محضة، منحصرة في الأعضاء التناسلية المخصصة للجنس، بل هي رغبة شاملة تستوعب كل كيان الإنسان، وتشترك فيها كل طاقاته الجسمية، والنفسية، والعاطفية، والعقلية، لتكوّن مزيجاً متكاملًا من الرغبات لا متنوعة، والموجهة نحو الموضوع الجنسي».^(١)

إن الجنس هو فن ممارسة الحب، أو هو التعبير عن الحب (Making love) وليس حركات ميكانيكية تؤدي !! وبالتالي فالتداخل بينه وبين الحب قائم طول الوقت - أو هكذا يجب أن يكون - وحين ينفصل الجنس عن الحب ؛ تفقد العلاقة الجنسية أبعادها الوجدانية والروحية والإنسانية^(٢)... ذلك أن الجنس حالة مؤقتة تنتهي بمجرد إفراغ الشهوة ، أما الحب فهو حالة دائمة تبدأ قبل إفراغ الشهوة وتستمر بعدها ، فالشهوة تعيش عدة دقائق والحب يعيش للأبد... وما أجمل أن تكون العلاقة الجسدية بين الزوجين ممزوجة بالحب !!

(١) دراسات في النفس الإنسانية - محمد قطب - ١٩٨، ١٩٩ .

(٢) محاضرات صوتية لـ "د/ جون جراي" بعنوان: *Mars and venus in the bedroom*

ف «وجماع المرأة المحبوبة في النفس يقل أضعافه للبدن مع كثرة استفراغه للمني، وجماع البغيضة يحل البدن، ويوهن القوى مع قلة استفراغه»^(١).

ومن هنا، فإن الجنس يجب ألا يكون المحور الأساسي للعلاقة الزوجية، بل يجب أن تقوم هذه العلاقة على الحب، والرغبة الحقيقية في العيش معاً، والانشغال بتموحيات مشتركة بين الزوجين، فالحياة الزوجية يجب أن تكون ثرية، وبها كثير من الاهتمامات، مع الاستمتاع بشكل معقول بالعلاقة الجنسية..

فقد تمر بالزوجين فترات تباعد جسدي بسبب توترات الحياة، وتصبح العلاقة الجنسية غير مطروحة في نسيجهما العاطفي.. بل ربما نسيا هذا الأمر، حتى أصبح لا يحتل حتى أطراف دائرة وعيها ومحيط اهتمامها..

إن الجنس في حياة الزوجين مرتبط بدورات عاطفية، وهما يتحركان نحو بعضهما البعض بشكل تلقائي بفعل نداء داخلي مصدره الوجدان، ولهذا فهو يُعبّر عن احتياج نفسي أكثر مما هو تعبير عن احتياج جسدي، بل هو احتياج نفسي في صورة احتياج جسدي ؛ ولذلك فالرضا النفسي يفوق الرضا الجسدي في حالة الجنس بين الأزواج..

فالعلاقة الجنسية بين الزوجين تكون في بداية الحياة الزوجية أكثر تحديداً وبروزاً.. ومع مرور الوقت يصبح الجنس متداخلاً مع النسيج العاطفي للزوجين.. ثم تذوب الرغبة الجسدية مع العقل والقلب، فيصبح الإشباع الجنسي إشباعاً للوجدان والفكر والجسد.. كل ذلك في بوتقة واحدة وانصهار كامل.. وفي حركة تلقائية تبادلية...

إن الجوانب العاطفية المحيطة بالعلاقة الحميمة «الجنسية» بين الزوجين باللغة الأهمية في تعميق العلاقة الوجدانية بينهما، لما فيها من إرواء للشهوة وجلب للسعادة

(١) زاد المعاد - ابن القيم - ج ٤ ص ٢٥٤ .

والنشوة المصاحبة لتلك العملية، مما يجعلها تضيف روحًا من البهجة والمودة والرحمة على تلك العلاقة الزوجية..

وهذه الجوانب العاطفية يمكن أن نجملها في ثلاث جوانب، كلها تؤثر في استمرار ونجاح العلاقة الزوجية.. وهي:

١ - العلاقة الوجدانية بين شريكي الحياة.

٢ - الميل الجنسي إلى شريك الحياة.

٣ - الحب العائلي.

«فأما العلاقة الوجدانية، بين الزوجين فهي التوافق النفسي والروحي في المشاعر والأحاسيس والأمانى والطموحات التي تحقق الألفة والمحبة بينهما، ومشاركة كل منهما الآخر، فيقاسم كل منهما الآخر أفراحه ونجاحه وآلامه وجراحه، وهذا يسمى بالحب المعنوي.

وأما الميل الجنسي، نحو شريك الحياة، فهو الرغبة الجنسية للزوج والزوجة بشكل يتحقق به التكيف العام بينهما، وبعبارة أوضح عندما يجد كلا الطرفين أن الطرف الآخر مرغوبٌ فيه جنسيًا ومغريًا للإقبال عليه.

وأما الحب العائلي، فيتمثل في قوة العاطفة نحو الأبناء خاصة، وقوة المودة بين أسرتي الزوجين بشكل عام..

فإذا توافرت هذه الثلاثة فإن الحياة الزوجية تصبح موفقة بإذن الله..» (١)

وفي كل الأحوال، نريد التأكيد على أن مساحة الحب الجسدي مساحة خاصة مليئة بالإفضاء للطرف الآخر جسديًا ونفسيًا.. يحاول فيها كل طرف من أطراف العلاقة الزوجية أن يرسل للآخر رسالة مفادها: أنه لا شيء يهم في هذا اللحظات سواه..

(١) راجع "إن شئت" أسرار السعادة الزوجية - محمد محمود عبد الله .

أخي الزوج / أختي الزوجة:

«في ظل زواج الحب، وحب الزواج، تتحرك أحاسيس الجنس بتلقائية وتبادلية، ورقة ورقّي... فإذا كان شريك حياتك غير مهياً، فدعه، وحاول أن تفهم السبب.. فقد تكون هناك فجوة عاطفية بينك وبين شريك الحياة.. أو ربما كان هناك سبباً خفياً أو نفسياً..»

وفي كل الأحوال، لا بد أن تعلم أنه ليس من العيب، وليس من الخطأ أن تُعبّر عن شوقك الجسدي لرفيق حياتك، فهذا الشوق الجسدي ينطوي أساساً على شوق روحي أنت تشتاق إليه.. والجسد أحد وسائل التعبير، وأحد وسائل التواصل، و أحد وسائل الذوبان والحميمة^(١).

وهذه الحميمة، وذلك الذوبان هما الرقي الحقيقي في فهم الحب الجسدي، والذي عرضه القرآن قي قوله سبحانه: ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ...﴾ [النساء: ٢٠ - ٢١]... هكذا ﴿أَفْضَى﴾ بلا مفعول محدد «يدع اللفظ مطلقاً، يشع كل معانيه، ويلقي كل ظلاله، ويسكب كل إيجاءاته، ولا يقف عند حدود الجسد وإفضاءاته. بل يشمل العواطف والمشاعر، والوجدانيات والتصورات، والأسرار والهموم، والتجاوب في كل صورة من صور التجاوب. يدع اللفظ يرسم عشرات الصور لتلك الحياة المشتركة أثناء الليل وأطراف النهار، وعشرات الذكريات لتلك المؤسسة التي ضمتها فترة من الزمان. وفي كل اختلاجة حب إفضاء، وفي كل نظرة ود إفضاء. وفي كل لمسة جسم إفضاء. وفي كل اشتراك في ألم أو أمل إفضاء، وفي كل تفكير في حاضر أو مستقبل إفضاء، وفي كل شوق إلى خلف إفضاء، وفي كل التقاء في وليد إفضاء..»^(٢).. إفضاء في ظلال رقي الحب الجسدي.

(١) متاعب الزواج - د. عادل صادق - ص ٢٩٩.

(٢) في ظلال القرآن - سيد قطب - ج ١، ص ٦٠٦، ٦٠٧.

﴿براعة التواصل الحسي﴾

في المراحل الأولى من الزواج يكون الاهتمام بالآخر هو السائد، ولكن للأسف مع مرور الزمن تتحول هذه المشاعر الجميلة لدى أكثر الأزواج، وتصبح العملية الجنسية مجردة من العلاقة الحسية (ملامسة الأيدي، والتقبيل، والمعانقة... إلخ.)، وهذا غير سليم؛ إذ ليس بالضرورة أن يكون التواصل الحسي هو الهدف المؤدي إلى الجنس، بل لا بد أن يبقى شعورًا جميلًا يفيض على النفس متعة لا مثيل لها. إن تمام اللذة والمتعة الزوجية في هذا اللقاء لا تكون، حتى يأخذ كل عضو حظه من اللذة.. النظر.. اللمس.. السمع.. الشم.. التذوق..

ولله در ابن القيم - رحمه الله - حين وصف ذلك بقوله:

«... فإن صادف ذلك وجهًا حسنًا، وخلقًا دمثًا، وعشقا وافرًا، ورغبة تامة واحتسابًا للشواب؛ فذلك اللذة التي لا يعادها شيء ولا سيما إذا وافقت كمالها؛ فإنها لا تكمل حتى يأخذ كل جزء من البدن بقسطه من اللذة، فتلذذ العين بالنظر إلى المحبوب، والأذن بسماع كلامه، والأنف بشم رائحته، والفم بتقبيله، واليد بلمسه، وتعتكف كل جارحة على ما تطلبه من لذتها وتقابله من المحبوب فإن فقد من ذلك شيء لم تزل النفس متطلعة إليه متقاضية له، فلا تسكن كل السكون»^(١).

إن الكائن البشري يسبح بين خمس مناطق مركزية، يتبادل معها الجاذبية والتأثير والتأثر... ولا بد لكل من شريكي الحياة أن يتقن فن التعامل مع تلك المناطق الخمس، حتى يمكنه اختراق الحواجز، والتغلغل إلى قلب الآخر:

١ - النظر

لا تحتاج حاسة النظر، وتأثيرها إلى تطويل وإسهاب، فالعين - كما نعلم - هي

(١) روضة المحبين - ابن القيم - ص ١٤٣ .

التي تبعث المشاعر الأولى بين الجنسين إلا فيما نذر.. «فهي رائد القلب، وعن طريقها تبدأ روح الرجل في الانجذاب نحو المرأة، وعن طريقها أيضًا يشمئز وينفر منها.

واهتمام المرأة بما يقع عليه عينا زوجها لا يقتصر فقط على اهتمامها بشكلها ومنظرها، بل أيضًا بالجو المحيط بها.. البيت بصفة عامة وحجرة النوم بصفة خاصة..»^(١).

فالواجب على الزوجة أن ترتدي من الملابس ما ينشأ عنه تزيين الجسم، وجعله مرموقًا جذابًا، ومثيرًا في ذات الوقت..^(٢) فإن من صفات المرأة الصالحة كما أخبر النبي ﷺ أنها «إذا نظرت إليها سرَّتكَ» وقد كان النبي ﷺ يبعث عند عودته بالجيش من يخبر أهل المدينة؛ حتى تمتشط الشعثاء؛ وتستحد المغيبة..

أختي الزوجة..

الرجال «كائنات تتبع بصرها» بمعنى أنهم يُثارون بما يشاهدونه مباشرة! فحاولي اكتشاف نمط اللباس الخاص بك، والذي يعجبك، وارتيه أمامه.. ولا يعني ذلك أن ترتدي أغلى الثياب، وإنما يعني أن تمنحي زوجك مما لديك ما يمكن أن يكون نظره إليه مثيرًا للشوق والرغبة..

أخي الزوج..

إن المرأة تُحب أن يتزين لها زوجها كما يحب هو أن تتزين له.. وقد كان النبي - صلى الله عليه وسلم - أنظف الناس وأطيب الناس، وكان

(١) فن العلاقات الزوجية في ضوء القرآن والسنة والمعارف الحديثة - محمد الخشت - ص ١٣١-١٣٥.

(٢) لا يعني هذا أن تصير عبدة للموضة والأزياء، فهذا فخ يهودي يتم من خلاله دفع المرأة إلى شراء الجديد ولو لم يكن أجل وأنسب!!

يكره أن يشم منه ريح ليست طيبة.

و كان ﷺ يوجه أصحابه بقوله: «إن أحسن ما اختضبتُم به لهذا السواد، أرغب لنسائكم فيكم، وأهيب لكم في صدور عدوكم».. [ابن ماجه / رقم (٣٦٢٥) ج ٢، ص ١١٩٧، إسناده حسن].

وكان عليه السلام يأمرهم بالاغتسال بعد العمل البدني الشاق، والعناية بشعر الرأس واللحية، وكانت عائشة - رضي الله عنها - توجه النساء بأن يأمرن أزواجهن بإزالة أثر البول والغائط بالماء، فتقول لهن: «مُرّن أزواجكن أن يستطيعوا بالماء، فإني أستحييهم، فإن رسول الله ﷺ كان يفعله». [الترمذي. الجامع الصحيح. رقم ١٩ / ج ١، ص ٣٠، ٣١، حسن صحيح]

... وجاء مرة رجلٌ إلى عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -، فقال له: ما حبسك؟ قال: عرست، قال: فهلا غيّرت ثيابك؟ [ابن معين / التاريخ، ج ١، ٢٥٧].

وكان - رضي الله عنه - يقول للرجال: «فوالله إنهن ليحببن أن تتزينوا لهن، كما تحبون أن يتزينن لكم». [ابن حبيب / أدب النساء. ص ١٦٨].^(١)
و كان ابن عباس - رضي الله عنهما - يقول: إني لأحب أن أتزين للمرأة كما أحب أن تتزين لي.

إن أقوى المشاعر الحسية التي تلقاها عين الإنسان، هي التي تنتقل إليها عن طريق العيون الأخرى.. وروحا الزوجين قد تلتقيان وتتواصلان بشرر ضئيل تومض به العين في أي لحظة!! بل إن البعض يبالغ حتى يقول «القلب في العين، فابحث عنه هناك».

٢ - اللمس..

كلنا نحتاج اللمس ؛ لأنه يحمل معاني مثل: المحبة، والود والإحساس بنا، كما

(١) أخلاق الفتاة الزوجية - د. عدنان حسن باحارث - ص ١٥١، ١٥٢.

أنه يعطينا الطمأنينة والتشجيع، وغيرها.

«ولو كانت المساحة هي المعيار الفصل للشهوة، فإن الجلد يصبح عضو ومركز الشهوة الأكبر لدى الإنسان، ففيه خمسة ملايين خلية حسية تقريباً من شأنها أن تستقبل بمساحتها المقدرة بـ ١,٧ متراً مربعاً، أدنى إشارات الملامسة اللطيفة الناعمة، حيث يرغب المرء بأن يلامس من يحب، ويستمتع بذلك جداً، وتنقل الخلايا المستقبلية للإشارات الموجودة على الجسد الإشارات اللطيفة الناعمة عبر النخاع الشوكي إلى الدماغ... بل إن هذه الملامسة تقلل من الخوف والقلق، وتعمل على إزالة التوتر...»^(١).

و جلد الرجل و جلد المرأة، كلاهما يحتاج اللمس.. لكن هرمون الاستروجين الذي يجعل جلد المرأة أرق ينتج لديها حاجة لمس أكثر..

نعم الرجل يحتاج اللمس بكل صورته.. لكن المرأة بخلقة الله تحتاجه أكثر.. والدراسات الكثيرة تؤكد أن الزوجة التي تتلقى صوراً عديدة من اللمس المعبرة عن المودة والحب ؛ تصبح تجايعدها أقل، ودورتها الشهرية أكثر انتظاماً، وقابليتها للإخصاب أقوى ، وقدرة تحملها لضغوط الحياة أعلى !!

ومن هنا تتأكد أهمية «اللمس في العلاقة الزوجية».. نحن هنا لا نتحدث عن «اللمسات الحميمية الخاصة» فهذه المنطقة الحمراء لها مجال مختلف وخاص. نحن هنا نتحدث عن اللمس العام في العلاقة عن: الطبطبة، مسحة الرأس، احتضان الود، ولمة الخوف، ومسك اليد وغيرها من لمسات يجهل الكثير أهميتها في صحة العلاقة الزوجية.

من قال أن المحبة حدودها غرفة النوم، ومن قال أن المرأة تحتاج اللمسة الخاصة فقط، المرأة تحتاج صوراً عديدة من اللمس العام.. طبطبة الكتف احتياج، مسحة الرأس احتياج، التريبت على الظهر احتياج...أو غيرها من اللمسات، كلها

(١) بلوغ النجاح في الحياة الزوجية - كلاوديا إنكلمان - ص ٢٥٣، ٢٥٤ بتصرف يسير .

احتياجات إذا لم تتوفر لا تدخل المرأة لحظتها الخاصة مرتاحة.. ذلك لأن الجلد عامة، وجلد المرأة خاصة مخلوق يتغذى طوال اليوم على اللمس بأنواعه المختلفة.

إن مشكلتنا مع اللمس أننا لا نملك ثقافة لمسية، ولا ندرك الأثر الفعال في إثارة المشاعر، سواء كان الإنسان لامسًا أو ملموسًا..!!» (١)

إننا كأزواج لا ينبغي أن نتظر الوقت المخصص لموعد اللقاء الجنسي بيننا لتلامس، بل يجب علينا أن يلمس كل منا الآخر، بكل عفوية ولطف وبساطة..

إن من «الممكن إبقاء شعلة الحب بين الزوجين لاهبةً من خلال أمور كثيرة، ومنها مثل هذه المداعبات الخفيفة.. إن مثل هذه الحركات الخفيفة كاللمس والمداعبة والمزاح اللطيف.. كل تلك الأمور تعتبر مؤشرات لعلاقة زوجية ناجحة.

إن الرجال والنساء من كل الأعمار بحاجة لغذاء كافٍ من اللمس والمداعبة، وخاصة العناق واللمس غير الجنسي بين الزوجين، مما يشير إلى علاقة المودة والرحمة بينهما..» (٢)

أخي الزوج..

هل لمست زوجتك بحنان أو قبَّلْتُها مرات في اليوم؟

هل تعلم أن النبي ﷺ كان يُقبِّل زوجته، وهو صائم؟!

عن عائشة _ رضي الله عنها _ قالت: أهوى إليّ رسول الله ليقبلني، فقلت: أنا صائمة، فقال: وأنا صائم، فأهوى إليّ فقبلني.

وثبت أنه ﷺ كان يقبل ويباشر وهو صائم، وهو أقدر الناس على ترك؛ لأنه ﷺ أملاكهم إربه، ومع ذلك فعله ﷺ فدلّ على جوازه.

(١) الزواج المثالي - فان دفلد - ص ١١٩ - ١٢٠ بتصرف .

(٢) التفاهم في الحياة الزوجية - د . مأمون مبيض - ص ٢٤٠ بتصرف يسير .

أخي الزوج..

امنح زوجتك المودة والرحمة، وحقق لها حاجاتها العاطفية، وأشعرها أنها جميلة وجذابة.. امنحها المزيد من الرعاية والاهتمام، وضعها دومًا في محور اهتمامك.. واملاً خزانة حبك لها بدفعات من المشاعر الرقيقة والقبلات الحارة بمجرد رؤيتها.... واللمسات الخفية..

٣- السمع..

الصوت ونبرة الكلام هي وسائط الحب المؤثرة لحاسة السمع... والكلمات المحبة من الزوج لزوجته هي ما تدرك الزوجة من خلاله أن الزوج مازال يحبها اليوم كما كان يحبها قبل، وكما سيبقى يحبها في المستقبل.

وصوت الزوجة، وروعة إيقاعاته، وقدرتها على التحدث حديث الأنوثة والدلال، كل ذلك من العوامل ذات التأثير الضخم على أحاسيس الرجل. فالزوجة التي تنتقي كلماتها، وتعرف متى تتكلم ومتى تصمت؟ وتعلم مواطن الضحك، والهمهمة، والأنين، وما إليها من أصوات.. هي الزوجة التي تملك أهم العوامل أهمية في إدخال الرجل إلى دائرة جاذبيتها..

ذلك أن صوت الزوجة بالنسبة للزوج هو «غذاء الحب»، وهو يحمل بين طياته سحرًا عظيمًا وفريدًا، وهذا السحر كافٍ ليصل الزوج إلى قمة الشهوة الحسية..

أخي الزوج / أختي الزوجة..

ليمنح كل منكما الآخر هذه المؤثرات السمعية، وليشعره عبر الكلمات أنه راضٍ عنه وعن حياته معه، وأنه أيضًا سعيدٌ بحبه له.. لينظر كلٌ منكما في عيني شريك حياته، وليقل له أنه يحبه، وليبادل كلمات الحب..!!

افعل ذلك، ولو كنتما فوق السبعين من العمر، ولا تترك حياة الحب تذوب مع مرور الوقت، وغياب صوت الحب..

٤ - الشم..

يلعب الشم دورًا هامًا في العلاقة الجنسية، فالرائحة الطيبة تقوي الجاذبية بين الزوجين، وبالعكس تخففها - إن لم تعدمها - الروائح غير الطيبة.

وقد كان الرسول ﷺ دائمًا يمس الطيب ويعتني بالرائحة، وبالخصوص رائحة الفم حتى أن نساء الرسول ﷺ لما غرن من زينب بنت جحش؛ لأن الرسول كان يأكل عندما عسلًا اتفقن جميعًا على أن يقلن للرسول ﷺ: «رائحة فمك مغاير _ نبات له رائحة غير طيبة _ فاهتم النبي بذلك حتى حرّم على نفسه العسل، ونزل القرآن ينهاه عن التحريم». [أخرجه البخاري في النكاح ٣٧٤ / ٩، ومسلم ١٤٧٤].

فالزوج المثالي يعتني برائحته ونظافته.. وكذلك الزوجة المثالية تعتني برائحتها وتحسن منها باستخدام أنواع العطور المختلفة.. بلا إفراط ولا تفريط.

إن الشم من «أوسع الأبواب إلى قلوب الرجال، وأشد ما يثيرهم عاطفيًا. يقول عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -:.. إنما قلوب الرجال عند أنوفهم..» فالرائحة الذكية تأخذ بمجامع القلوب، وتعمل عملها كأبلغ ما يكون في نفوس الرجال؛ ولذلك نُهِيت المرأة عن الخروج متطيبة في مجامع الرجال الأجانب، لما يمكن أن تُحدثه من الفتنة..

لقد ثبت عن رسول الله ﷺ التوصية بالسواك لطهارة الفم، وقطع الرائحة القبيحة..

وأما طهارة البدن، فقد ورد عنه أنه كان ﷺ «إذا زوّج بناته أمر ألا يقربهن أزواجهن حتى يغتسلن.. فلا يجتمعن بأزواجهن إلا على أكمل حال، حتى بلغ الأمر عنده - عليه الصلاة والسلام - بضرورة الطهارة والنقاء إلى أن يأمر النساء بتطهير، وتطيب موقع خروج الدماء الطبيعية، ويشرح كيفية ذلك، ويبينه بنفسه، مما يدل على أهمية هذا الجانب وضرورته للزوجين..»^(١).

(١) مستفاد من "أخلاق الفتاة الزوجية - د/عدنان حسن باحارث

فالروائح «النسوية الرقيقة الحاملة بعقب الأنوثة الشفافة ومشاعرها المتألثة، تنسجم مع وداعة المرأة ورقتها.. وتتفق مع أريجها الفواح الذكي الذي يجذب الزوج، ويثير فيه أحلى الآمال الرقيقة، والأحلام الساحرة الأنيقة والحيوية الدافقة..» (١).

إن مَنْ يغفل من الأزواج عن النظافة والتطيب، تؤدي بهم «الغفلة التي أوجبت إهمالهم أنفسهم إلى جهلهم بالأذى الحادث عنهم.. ثم أنتجت نفور المرأة..

وأما النظيف الطيب الرائحة؛ فإنه يقرب من قلوب الخلق، وتجه النفوس لنظافته وطيبه. ويؤنس الزوجة بتلك الحال.. والنساء شقائق الرجال، فكما أنه يكره الشيء منها، فكذلك هي تكرهه، وربما صبر هو على ما يكره وهي لا تصبر» (٢).

فلتحذر المرأة أن تسوء رائحتها بنتائج عدم النظافة، من خلال تراكم العرق، أو إفراز الحيض التي لا تتعامل معها بشكل صحيح.. فهذا مما يثير اشمئزاز الرجل، ومن ثم يتسبب في نفوره حسيًا عن القرب من الزوجة!!

وليحذر الرجل مثل ذلك، فالنساء شقائق الرجال، فكما أنه يكره الشيء منها، فكذلك هي تكرهه..

٥ - التذوق..

«وسيلة التذوق عند الإنسان هي الفم، وعندما يُذكر الفم يتوارد إلى الأذهان «القبلة»..

فالقبة طيبة المذاق هي التي تعطي أصدق الدلائل على إمكانية حدوث الانسجام الجسدي والروحي..» (٣).

وقد كان النبي ﷺ يقبل عائشة - رضي الله عنها - وهو صائم.. قالت عائشة -

(١) الزواج المثالي - فان دفلد - ص ١٠٧ بتصرف يسير .

(٢) صيد الخاطر - ابن الجوزي - بتصرف .

(٣) فن العلاقات الزوجية في ضوء القرآن والسنة والمعارف الحديثة - محمد الخشت - ص ١٣١ - ١٣٥

رضي الله عنها _ : أهوى النبي ﷺ ليقبّلني فقلت: إني صائمة، فقال: وأنا صائم، فقبلني. [رواه الترمذي].

وفي لفظ آخر قالت: كان النبي ﷺ يظل صائماً، فيقبل ما شاء من وجهي...». بل «للزوج أن يمص لسان زوجته ويرتشف فمها...».

أخرج أبو داود في السنن (٢٣٨٦): حدثنا محمد بن عيسى، حدثنا محمد بن دينار، حدثنا سعد بن أوس، عن مصدع أبي يحيى، عن عائشة: «أن النبي ﷺ كان يقبلها وهو صائم، ويمص لسانها».

وأخرج ابن أبي شيبة في المصنف (٣١٤ / ٢): حدثنا ابن عليه، عن حبيب بن شهاب، عن أبيه، عن أبي هريرة، قال: سئل عن القبلة للصائم؟ فقال: «لا بأس، إني أحب أن أرشفها وأنا صائم».

- بل صح عن النبي ﷺ مداعبته لأزواجه أثناء الصيام، سواء بالتقبيل، أو بالمباشرة فيما دون الفرج، أو بالضم وغيره مما لا يفسد الصيام.

وهذا إن دل على شيء، فإنما يدل على أهمية ممازحة الأهل ومداعبتهم، والتقرب إليهم بنحو من هذه الأشياء.. [أخرج البخاري (٣٣٠ / ١)]. من طريق: مالك، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة - رضي الله عنها - أنها قالت: «إن رسول الله ﷺ يقبل بعض أزواجه، وهو صائم، ثم ضحكت». [صحيح].

وعند البخاري في الحديث عن أم سلمة قالت: وكانت هي ورسول الله يغتسلان من إناء واحد، وكان يقبلها وهو صائم.

وأخرج البخاري (٣٧ / ٢): حدثنا سليمان بن حرب، قال: عن شعبة، عن الحكم، عن إبراهيم، عن الأسود، عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: كان النبي ﷺ يقبل ويباشر وهو صائم، وكان أملككم لإربه. [صحيح]. (١)

(١) فقه المعاشرة الزوجية - عمر عبد المنعم سليم - ص ١٠٩، ١١٠ بتصرف يسير.

في غرفة النوم..

يتحدث الكتاب في قضية العلاقة الزوجية، حتى إذا وصلوا إلى هذه النقطة وقفوا عندها، أو ربما تجاوزوها.. فهل تأذن لي - أخي الزوج / أختي الزوجة - أن أتحدث عنها لأهميتها؟

« إن الإنسان العادي يقضي أكثر من ثلث عمره في غرفة النوم، فالنوم ٨ ساعات من ٢٤ ساعة يعني ثلث اليوم، فلو أن إنساناً عاش ٩٠ سنة، فإن ذلك يعني أنه نام ٣٠ سنة منها.. هذا بالطبع غير ما قبل النوم وبعده.. بل إن البعض يقضي فيها القراءة أيضاً.. مما قد يصل إلى ١٠ - ١٢ ساعة يومياً.. يعني قد تكون قضيت نصف عمرك في غرفة النوم!!

لذلك فإن هذا المكان لا بد أن يكون أهم مكان بالنسبة لك.

و يجب أن تنتبه - أخي الزوج / أختي الزوجة - إلى أن هذه الغرفة يجب أن تكون أجمل غرفة في البيت، وأن تقوما معاً بتنسيق ألوانها وترتيبها، واختيار أثاثها وإضاءتها ورائحتها.

... ويجب قبل ذلك وبعده، أن تكون الغرفة مكاناً آمناً ومرحاً^(١) تنتهي كل الخلافات قبل الدخول إليه، ويجد فيها الزوجان الراحة والهدوء والسكن..

ولا شك أن هذا يعني:

ألا يناقش الزوجان فيها أشياء سلبية أو مشكلات دارت خارج البيت أو حتى داخله؛ حتى لا ترتبط المشاعر السلبية مع الغرفة.. فلا تكون غرفة النوم هي - مثلاً - الغرفة التي يناقش فيها الزوجان التزامات البيت والأولاد..

وإذا كان لديهما أولاد فلا بد أن يعلمهم ألا يدخلوا الغرفة إلا بإذن، وألا يستغرق مكثهم فيها أكثر من بضع ثوانٍ أو دقائق!!

(١) كيف تكسب محبوبتك - د. صلاح الراشد - ص ٨٣، ٨٤ بتصرف يسير.

تأمل معي هذا المثال !!

«غاب الزوج عن بيته في سفر طويلة ثلاثة أيام، وطوال طريق عودته إلى أهله كان يفكر في زوجته واشتياقه لها، ويهيج نفسه للقائها..

وفي المقابل، كانت زوجته تهيج نفسها أيضًا لاستقبال زوجها؛ ولكن في اتجاه آخر تمامًا.. لقد وضعت في دفترها أربعة موضوعات مهمة كانت أجّلتها إلى حين عودة الزوج، حتى تتخذ القرار فيها، وقد قررت أن تفتح الموضوعات في غرفة النوم بعد استقبال الزوج.

فماذا حدث؟

بعد استقبال الزوج..

دخل الزوجان إلى غرفة النوم، والزوج يتقرب من زوجته ويداعبها.. أمّا هي فقد امتنعت عنه حتى تفتح ما قررت من موضوعات، وبدأت في طرح الموضوع الأول للمناقشة.. فتوقف الزوج عن المداعبة بعدما أبت الزوجة تأجيل الموضوع، ثم بدأت العلاقة تتوتر... ثم نام الزوج في الصالة، وأمّا الزوجة فقد استسلمت للبكاء حتى ذهبت في النوم !!!» (١)

وهكذا - ربما - تكرر الأمر بشكل آخر في يوم آخر، أو أيام.. حتى يكون حوار غرفة النوم هو:

«١ - هل ستنام؟

نعم، هل تريد شيئاً؟

لا.. سلامتك.. تصبح على خير..!!

- وأنت من أهله..!!

- وبعد دقائق يرتفع صوت الغطيط معلناً نوم الزوج العميق؛ بينما تتشاغل

(١) كيف تبين بيتاً سعيداً - د / أكرم رضا - ص ١٢٠ .

الزوجة الأم مع الأطفال، وقد شرد ذهنها بعيداً مع تساؤلات كثيرة: هل ما نحن فيه هو شيء طبيعي؟

هل هذا المشهد المتكرر في غرف النوم بين زوجين بعد سنوات قليلة من الزواج مشهد عادي لا يثير الانتباه ولا يستحق التوقف؟

إن الحياة الزوجية تسير على وتيرة هادئة، والعلاقة الزوجية لا يكاد يوجد ما يعكرها إلا الاحتكاكات البسيطة والنقاشات العادية التي سرعان ما يتم تجاوزها لتعود الحياة إلى طبيعتها، ويسودها الحب المتبادل والاحترام والتقدير..

إن الزوج قد أصبح مثقلاً بالأعباء والمشاكل؛ حتى يوفر لأسرته النامية متطلباتها، وهو سعيد بهذا الدور لا يشكو، بل يعود متعباً مرهقاً والابتسامة على وجهه يداعب أولاده، ويحاول أن يقضي معهم ما يستطيعه من وقت، ويتحدث إلى زوجته يبث إليها مشاكله ومتاعبه، ويحاول أن يشركها معه في آماله وأحلامه.

وعلى الجانب الآخر نجد الزوجة مرهقةً مكدودة بفعل الأولاد الذين لا تتوقف مطالبهم ونشاطهم، وتتفانى في خدمتهم، وهي أيضاً راضية سعيدة، وتحاول إسعاد زوجها وتقدر مجهوده من أجلهم، ويسعددها منه كلمة حلوة إذا سمعتها راضية...!!

... ولكن الشيء الذي تغير بصورة واضحة العلاقة الحميمة أو العلاقة الجنسية..

نعم لقد تغيرت أشياء كثيرة، ولكن هل هذا الأمر يتغير، وهل هو طبيعي - عدنا إلى السؤال الذي بدأنا منه - الواقع أن هذا الموضوع يُنظر إليه من أكثر من زاوية، ويتحمل أكثر من تفسير، هل نقول إن رغبة الزوج قد قلت أو فترت؛ لأن حبه لزوجته قد قل؟ أو لأن الزوجة قد أهملت ولم تعد تهتم بنفسها؟ أم أن ما حدث للزوجة كان رد فعل لإهمال الزوج وعدم اكتراثه؟.. أم هي مسئولة مشتركة من الطرفين....

قد يكون للسن حكمه، وقد تكون نظرتنا للأمور أصبحت أكثر نضجاً، وقد تصبح العلاقة الجنسية جزءاً من منظومة متكاملة من التفاهم والود والرحمة، حتى يتأخر ترتيبها ودورها في الحياة الزوجية واستقرارها ؛ ولكن هناك فرق بين أن يحدث ذلك بوعي ورضا واقتناع مع استمرار إعطاء هذه العلاقة مكانتها ودورها، فذلك أمر مقبول..

أما أن يُهمَل الأمر حتى نجد أنفسنا وقد أُصَبْنَا بالفتور، فذلك أمر غير مقبول!!^(١). في كل البيت، فكيف نقبله في غرفة النوم؟!

الإيقاظ الحسي المتدرج:

العلاقة الجنسية الناجحة التي تروي ظمأ كلاً من الطرفين، باب من أبواب السعادة والراحة النفسية والقبول والرضى عن الآخر، الذي يولد ارتباطاً ومحبة عاطفية ووجدانية عميقة تسمو بعد ذلك عن كل شيء وإن كانت العلاقة الجنسية تمدها بالتجدد والشوق للآخر.

وهذه العلاقة مع فطرتها وقابلية كل من الرجل والمرأة لممارستها ؛ لأنها سنة الحياة أودعها الله في البشر، ولكن المتعة والسعادة فن يجب تعلمه من الرجل والمرأة، حتى تتحوّل تلك الممارسة إلى أنشودة حب وسعادة وعفاف وإحصان لكل من الرجل والمرأة.

و لا شك أن فجر الحياة الزوجية هو المدرسة التي تتدرّب فيها المرأة على يد زوجها، ومن هنا وجب أن يتّصف المعلم بصفات الصبر، حتى يمكنه أن يقوم بإيقاظها حسياً بشكل متدرج...!!

ذلك أن الفتاة العذراء الضابطة لمشاعرها العاطفية قد يمنعها الاستحياء من

(١) المفاتيح الذهبية في احتواء المشكلات الزوجية - نبيل بن محمد محمود - ص ٧٩ - ٨١ بتصرف

التجاوب مع الزوج ببسر، ففاطمة - رضي الله عنها - بنت رسول الله ﷺ لما دخل عليها علي - رضي الله عنه - بكت، وما تمكّن منها إلا بعد ثلاث.. (١)

إن الميل الجنسي أو العلاقة الجسدية بين الرجل وزوجته من أركان العلاقة العاطفية ؛ ولكن هذا لا يعني أن الهدف هو فقط قضاء الوطر والشهوة، وإنما هذه العملية ما هي إلا تعبير عن علاقة أعمق وأشمل ولذلك سماها القرآن مودة ورحمة..

« فقضاء الشهوة محطة من محطات الحب تسبقها محطات وتليها محطات.. »

فالمحطات التي تسبقها مختصرة في قوله تعالى: ﴿وَقَدْ مُوا لَأَنفُسِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٣]، وحديث النبي ﷺ: «هلا بكرًا تلاعبها وتلاعبك»..

والمحطات التي تليها مختصرة في قوله تعالى: ﴿الرَّفَثُ﴾ [البقرة: ١٨٧]، وحديث عائشة - رضي الله عنه - في غسلها مع النبي ﷺ: «كنت أغتسل أنا ورسول الله ﷺ من إناء بيني وبينه، تختلف أيدينا عليه ! فيبادرني حتى أقول: دع لي، دع لي!». [رواه البخاري ومسلم].

وكل محطة من محطات هذا اللقاء لها فنها وأدبياتها وممارستها والأخذ بقواعده النبوية يضمن للزوجين - بتوفيق الله وإعانتة - قمة السعادة الزوجية وأعلى صور تحقيق السكن.. (٢)

فَنّ البداية..

«إن أجمل ما في أوراق الأشجار في الصباح هي قطرات الندى، التي تتلألأ تحت أشعة الشمس، وإن الشعور بالحياة ينبع من تلك القطرات المتحركة ؛ ولذلك فإنه

(١) أخلاق الفتاة الزوجية - د/ عدنان حسن باحارث

(٢) مستفاد من موقع: www.Islammemo.com

مما يجعل التواصل بين الزوجين حباً يفيض بالسعادة أن يبثا فيها تلك الحياة المتألثة بقطرات الندى الصغيرة، ومن وسائلك لنشر هذه القطرات على صفحات حياتك..

النية الطيبة:

فيجب أن يستحضر الزوجان عند المباشرة نية الإحصان، والاستغناء بالحلال الطيب عن الوقوع في الحرام الخبيث، وغيرها من النيات الحسنة..

الدعاء والتسمية:

وهو نعم الاستفتاح.. بنية خالصة يتبعها تسمية الله ثم الدعاء لله والتضرع..

شكر النعمة:

فيستحب أن يستحضر الزوجان النعمة، التي أنعم الله عليهما بتيسير هذا الحلال الطيب لهما.

إطالة فترة المداعبة:

وهي الفترة التي تسبق الملامسة، والتي يعقبها المقاربة الحميمة: وذلك بالتقارب الروحي والوجداني، واللمسات الحانية التي تدل على السعادة بالتقارب بينهما.

الهمس في الأذن ومداعبتها:

فالرجل يحب أن يسمع كلمات الحب من زوجته، كما أنها هي أيضاً تحب ذلك.. كما أن الجلد المغذي للأذن شديد الحساسية باللمس؛ ولذلك فإن ملامسة الأذن بالفم مثلاً، ثم الهمس فيها بكلمات الحب، يجمع بين الوظيفتين في هدف واحد، و هو زيادة الإثارة والتمهيد للقاء.

القبلة:

وهي رسالة تعبير عن العواطف الجياشة بين الزوجين، ودليل على الألفة والمحبة بينهما.

اللمس باليد:

حين تتلامس الأيدي يحدث بينهما ألوان من التفاهم والتحدث والتناغم لا

يفهمها إلا الزوجين...» (١)

وهكذا «تبدأ الممارسة بالتمهيد، وهي مرحلة المداعبة والمغازلة والملاعبة، وبالطبع فمدة هذا التمهيد تختلف من حالة إلى أخرى..

ولكن على العموم، فإن الرجل بطبيعته سريع الاستجابة للجنس، على عكس المرأة التي تستجيب غالباً في بطن، ومن هنا يجب على الرجل أن يُعطى قليلاً من انفعاله وعواطفه، بينما ينبغي للمرأة أن تجتهد في الإسراع والتركيز، حتى يمكن للثنين أن يتوافقا في مراحل الجماع حتى نهايتها..» (٢)

وقد أرشدنا القرآن إلى أن نقدم لأنفسنا ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾.. الآية، وهي التهيئة المعنوية والإعداد النفسي قبل تمام العملية الجنسية، فكل الزوجين مطالب أن يقدم للآخر الركن المعنوي والراحة النفسية والانسجام الروحي من معين لا ينضب، وهو معين المودة والرحمة.

كما أوضح لنا رسول الله ﷺ أن نقدم لأنفسنا بالقبلة والكلام، وفي هذا إطالة لأمد المراحل الأولى من الجماع بما يحقق متعة للمرأة..

ونهى ﷺ عن أن يجامع الرجل زوجته دون تلطف وتودد ضامناً لذلك، وحث بالتصريح والتلميح على أن يذوق كل طرف عسيلة الآخر - أي: يتحقق له في العلاقة الإشباع الكامل..

إن الزوجة تحتاج مع الجنس إلى الغزل اللطيف، وإشباع رغبتها بسماع المديح والثناء على جمالها ورقتها وعذوبتها... لأن المرأة تعشق بأذنها أكثر من قلبها..

وقد فُسر ﴿الرَّفَثُ﴾ في قوله - عز وجل - ﴿أَحَلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ﴾.. بأنه الجماع، وُفُسر بأنه مقدمات الجماع، فالرفث «له نهاية وله بداية، كما

(١) كيف تبين بيتاً سعيداً - د / أكرم رضا - ص ١١٤ - ١١٦ بتصرف .

(٢) لمن يريد الزواج .. وتزوج - فؤاد الصالح - ص ١٢٥ بتصرف .

في حديث الصيام «الصيام جُنَّةٌ فإذا كان يوم صوم أحدكم، فلا يرفث ولا يجهل» ؛ فالرفث يعني: الكلام حول هذا الموضوع..

وأيضاً ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ فُسِّرَ بالجماع، وفُسِّرَ بمقدمات الجماع، فالحديث عن الجماع يثير الشهوة وهذا في وقت إحرام ولا يستطيع الرجل أن يجامع، فلا داعي لمثل هذا ؛ أي: الجماع ولا الحديث عنه.

فمن ضمن الآداب التي شرعها الإسلام، وجاء هذا في حديث وإن كان فيه ضعف، أنه لا ينبغي للإنسان أن يأتي امرأته دون مقدمات «لا يرتمي أحدكم على امرأته كما ترمي البهيمة، اجعلوا بينكم وبين الجماع رسولاً»، قالوا: وما هو الرسول يا رسول الله ؟ قال: «القبلة والكلام».

يعني لابد من تمهيدات حتى تُستثار المرأة، فقد يكون الرجل الشهوة عنده حاضرة، ولكن المرأة تحتاج إلى وقت حتى تخضر شهوتها، فلا بد أن يداعبها ويكلمها حتى تكون حاضرة معه».

كما أن هذا يشعرها أن زوجها يعطيها كل وقته واهتمامه، وأنه بلا شك مستمتع بالتواصل معها..

ولاشك أن كل هذا «يعطي جواً من الاطمئنان للطرفين، وهذا الاطمئنان هو الأرض الطيبة لبناء المحبة والارتباط، وفي مثل هذا الجو من المحبة والتفاهم، يستطيع الزوجان الحديث فيما يرغبان به، وما يسعدهما في علاقتهما الزوجية والجنسية على حد سواء».

ولذلك - أخي الزوج - «تهامس مع زوجتك في موضوعات عاطفية وشاعرية.. واعلم أن: المرأة إن أرادت أن تتأكد من أن زوجها يحبها، فإنها تنظر إلى جانب العاطفة التي تسبق وتلي العملية الجنسية.. ومن هنا وجب على الزوج

(١) د . يوسف القرضاوي - برنامج الشريعة والحياة - قناة الجزيرة ، وراجع موقع

مداعبة زوجته قبل الجنس، والتأكيد على حبها بعده، وذلك حتى تشعر الزوجة أنها محبوبته...

إن العاطفة يجب أن يسبقها مقدمات، ويليهما متممات معينة للوصول إلى قمة المتعة، فالجنس من أهم وأمتع زينة الحياة « المال والبنون زينة الحياة الدنيا ».. ولفظ البنون من تأدب القرآن، وترفعه بالألفاظ، إذ قد يراد به ما يسبق البنين.. وفي الآية الأخرى التصريح ﴿ زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ ﴾ فشهوة النساء - أي: الجنس - محبة لدى الرجال، وما ينطبق على الرجال ينطبق على النساء. وفي الحديث النبوي، صدق المصطفى حين يقول ﷺ: «حب إلى من دنياكم الطيب والنساء، وجُعِلَ قرة عيني في الصلاة»^(١)

تلاعبها وتلاعبك..

المقصود من مداعبة الرجل زوجته هو زرع الألفة في نفسها، وتنمية الحب في قلبها تجاهه، وحينئذ تحصل السكينة، وتغشى الحياة الزوجية، ويسودها المودة والرحمة التي لأجلها شرع الزواج.

وللمداعبة والمؤانسة للزوجة صور متعددة، ولو تتبعنا السنة النبوية لوجدنا أمثلة نبوية عظيمة من المداعبات اللطيفة للزوجات....

فمنها أنه ﷺ كان يُطعم زوجاته ويسقيهن بيديه الكريمتين الشريفتين الطاهرتين، وهذا هو الواقع يحكيه - صلى الله عليه وسلم - حيث يقول لسعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه - لما زاره في بيته وهو مريض، قال له «حتى اللقمة تضعها في في امرأتك يكون لك بها صدقة».

كما كان - عليه الصلاة والسلام - يشارك أزواجه في الشراب من كأس واحدة، بمعنى: أنه يشرب مما تشرب منه زوجته - عليه الصلاة والسلام -، وهذه أم المؤمنين

(١) كيف تكسب محبوبتك - د/ صلاح الراشد - ص ٨٤ - ٨٦ بتصرف .

عائشة - رضي الله تعالى عنها - تحكي حالها وواقعها مع زوجها الكريم ﷺ..
فتقول: كنت أشرب وأنا حائض، ثم أناوله النبي ﷺ فيضع فاه، - أي: فمه -
على موضع فيّ فيشرب - عليه الصلاة والسلام -، بل كان يضع رأسه - عليه
الصلاة والسلام - في حضنها وهي حائض..

«ومن صور مداعبته ﷺ لأزواجه مسابقتها ﷺ لأم المؤمنين عائشة - رضي الله
عنها - فقد أخرج النسائي في [عشرة النساء (٥ / ٣٠٣)]: أخبرنا محمد بن عبد
الله بن يزيد المقرئ، قال: حدثنا سفيان، عن هشام ابن عروة، عن أبيه، عن عائشة،
قالت: سابقني رسول الله ﷺ فسبقته، حتى إذا رهقني اللحم، سابقني، فسبقني،
فقال: «هذه بتيك» صحيح»^(١).

ومنها ترخيم اسم الزوجة (كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٣ / ٣٥) :
حدثنا يحيى ابن بكير، حدثنا الليث، عن يونس، عن ابن شهاب، قال أبو سلمة: إن
عائشة - رضي الله عنها - قالت:

قال رسول الله ﷺ يوماً: « يا عائش هذا جبريل يقرئك السلام »

فقلت: وعليه السلام ورحمة الله وبركاته، ترى ما لا أرى. تريد رسول الله ﷺ
.. وهذا الترخيم للاسم مستحبٌ للنفوس، لما فيه من التزلف والتقرب،
وإظهار الحب والبشر بالمنادى، فيقع من نفس المرأة موقعاً عظيماً، وتجده ذوقاً
جَمِيلاً، وهو من أنواع المداعبة المستحبة بين الزوج وزوجته..»^(٢).

إن العلاقات الحميمة بين الزوج والزوجة تُبنى على الحب، وليس على الإكراه
والقهر، فهذا رسول الله ﷺ يقول لأحد أصحابه: «هلا بكراً تداعبها وتداعبك،
وتلاعبها وتلاعبك».

«وهنا يكمن السر في المعاشرة، ألا وهو اللطف، واللين، والمداعبة، والملاعبة،

(١) فقه المعاشرة الزوجية - عمر عبد المنعم سليم - ص ١٠٦

(٢) المصدر السابق - ص ١٠٤، ١٠٥.

واختيار الوقت المناسب، بذلك يعيش الزوجان حياة هائلة يستمتعون فيها بكل أوقاتهم، يتفهم كل منهما نفسية الآخر، والأوقات المحببة إلى النفس، وهيئة النفس لذلك والتعود عليها...» (١).

وقد ورد عن النبي ﷺ من طرق كثيرة، ما يدل على اهتمامه بأزواجه أمهات المؤمنين في هذا الجانب، ليس وقت الجماع فقط، بل وفي أوقات كثيرة، فقد كان يُكثر ﷺ من مداعبتهن، وتقيلهن، ومباشرتهن، حتى ولو كن حيض، فإن هذا كله وإن كان مما يُقضى به الوطر، فهو كذلك مما تستمتع به المرأة، ولو كان في وقت حيضها.. «يدل على ذلك:

[ما أخرجه البخاري (٣ / ٣٩٢)]: حدثنا فروة، حدثنا علي بن مسهر، عن هشام، عن أبيه، عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا انصرف من العصر، دخل على نسائه فيدنو من إحداهن، فدخل على حفصة، فاحتبس أكثر ما كان يحتبس» [صحيح].

فقلوها - رضي الله عنها -: «فيدنو من إحداهن - تقصد: به المداعبة، والتقيل، والضم فيما دون الجماع -، كما يفصله الحديث الذي أخرجه أبو داود (٢١٣٥): حدثنا أحمد بن يونس، حدثنا عبد الرحمن، يعني: ابن أبي الزناد، عن هشام بن عروة، عن أبيه، قال: قالت عائشة:

يا بن أخي، كان رسول الله ﷺ لا يُفضل بعضنا على بعض في القسم، من مكثه عندنا، وكان قلّ يم إلا وهو يطوف علينا جميعاً، فيدنو من كل امرأة من غير ميسس، حتى يبلغ إلى التي هو يومها فيبيت عندها.

وفي رواية: «وقاع» بدلاً من «ميسس» - أي: يدنو منهن ﷺ يداعبهن، ويضمهن، ويقبلهن، من غير وقاع أو جماع -.

بل أصرح من هذا كله حثه ﷺ على مداعبة الزوجة، وحثه على نكاح الأبكار

(١) المفاتيح الذهبية في احتواء المشكلات الزوجية - نبيل بن محمد محمود - ص ٣٢١ بتصرف.

لأجل ذلك، كما في الحديث الذي:

أخرجه البخاري (٣ / ٣٥٨): حدثنا آدم، حدثنا شعبة، حدثنا محارب، قال: سمعت جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - يقول: تزوجت، فقال لي رسول الله ﷺ: «ما تزوجت؟»، فقلت: تزوجت ثيبًا، فقال: «مالك وللعذارى ولعابها».

فذكرت ذلك لعمر بن دينار، فقال عمرو: سمعت جابر بن عبد الله يقول: قال لي رسول الله ﷺ: «هلا جارية تلاعبها وتلاعبك». [صحيح].

فانظر إلى هذا الحث من النبي ﷺ على ملاعبة الزوجة للزوج، وملاعبة الزوج للزوجة، فإنها مما يغرس الحب في قلب الزوجين والسكينة، وتتم به المتعة، وتحدث به الألفة^(١).

إن «الدلال من الزوجة هو فن لطيف يشمل تعاقب التقدم والتراجع، مما يثير الدوافع النفسية للرجل إلى الاتصال والحب، وبخاصة حين تكون الزوجة مرهفة المشاعر، حسنة الذوق، تتدرج في رقة وتتمتع في براعة.. فما أجمل ما يُحدثه التحفظ والتظاهر بالتراجع الوقتي في أشد أدوار الملاعبة..»

ولكن فقط ننبه هنا إلى أن الإفراط في الدلال، ربما يشل الاستجابة، ويميت الرغبة لدى الزوج، فلتحذر الزوجة الدلال المفرط..^(٢).

﴿ومع الدلال والمداعبة﴾ «يستحب للمرأة مراعاة بعض الآداب، منها: ﴿

التجمل للزوج:

وهو مقتضى قول النبي ﷺ لما سئل عن خير النساء: «التي تسر إذا نظر». [أخرجه النسائي ٦ / ٦٨ بسند صحيح].

(١) فقه المعاشرة الزوجية - عمر عبد المنعم سليم - ص ١٠١ - ١٠٣ .

(٢) الزواج المثالي - قان دفلد - ص ٢٥٤، ٢٥٥ بتصرف .

تلمح مراد الزوج أثناء الجماع:

قال ابن الجوزي: [هامش: أحكام النساء - ابن الجوزي - ص ٢٦٦] «ينبغي للمرأة العاقلة أن تتلمح مقصود الرجل فتتبعه».

اتخاذ خرقة لمسح الأذى عند الجماع:

ويستحب للمرأة أن تتخذ خرقة تمسح بها الأذى عن نفسها، وعن زوجها عقب الجماع. فعن أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - قالت: ينبغي للمرأة إذا كانت عاقلة أن تتخذ خرقة، فإذا جامعها زوجها ناولته، فيمسح عنه، ثم تمسح عنها، فيصليان في ثوبهما ذلك ما لم تصبه جنابة». وقد استحب جماعة من أهل العلم هذا الأدب، وذكره الحنابلة في مصنفاتهم^(١).

أخذي الزوجة..

«من الظفر أن تكوني ذات دين وخلق، ورائع أن تكوني طاهية من الطراز الأول، وسعادة أن تكوني جميلة، وسرور أن تكوني مريحة، وفخر أن تكوني ذات علم وثقافة، ولكن هذه الصفات الجميلة لا بد معها أن تكوني على خبرة في الحب والعاطفة والتوافق الجنسي وإشباع رغبات الزوج على كل المستويات.. ذلك أن عدم التفاعل مع الزوج من الناحية العاطفية والجنسية، سيجعل الزوج يتجاهل كثيرًا من الصفات الأساسية، ويبدأ في تصنع المشكلات التي لا أساس لها من الصحة.. ونحن لا نذكر هذا الكلام؛ إلا ليحل الاستقرار في البيوت المسلمة، وترفف عليها السعادة والهناء...»^(٢).

(١) فقه المعاشرة الزوجية - عمر عبد المنعم سليم - ص ١٣٣، ١٣٤.

(٢) لمن يريد الزواج.. وتزوج - فؤاد الصالح - ص ٢٨١.

فإذا أدركت - أختي الزوجة - حق الإدراك مهمتك في الحياة، فخير وبركة، وإذا لم تكوني تدركين هذه المهمة، فسوف تخرجين من قراءتك لهذه الكلمات ولديك قناعة تامة أنك تملكين سلاحًا ذا حدين.. أحدهما يشيد، والآخر يهدم.. أحدهما يُسعد، والآخر يُشقي.. أحدهما يبعث الحياة.. والآخر ينتزع الحياة.. وأنا لا يتطرق إلي شك في أنك ستستخدمين السلاح الأول..

أفضي بعضكم إلى بعض:

قال تعالى: ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾ [النساء: ٢١]... أي كيف تأخذون الصداق من المرأة، وقد أفضيت إليها وأفضت إليك، قال ابن عباس: يعني الجماع^(١).

والجماع يشمل: التمهيد، والمداعبة «التشويق».. وما بعد الملاعبة.. وذروة الملاعبة.. وما بعدها يمكن أن نسميه «الاتحاد الحسي» أو «المشاركة النفسية الحسية».. ومن ضرورات هذه المشاركة المساواة في الحقوق وفي الاستمتاع وفي الاتحاد الحسي..

فالمعاشرة الزوجية « يشترك في أدائها الزوجان، ويتعاونان على تحقيق التوازن النفسي من خلالها ؛ لكن المعاشرة الزوجية لها آدابًا ينبغي مراعاتها، كما أن لها معايير ينبغي عدم تجاوزها... وأنجح العلاقات الزوجية ما يكون فيها الزوجان متناوبي الأدوار في هذا الأمر، فمرة يكون الزوج هو المانح، ومرة يكون هو الآخذ، وكذلك الزوجة، مرة تكون هي المانحة، ومرة تكون هي الآخذة، فتبادل الأدوار بين الزوجين حسب رغبتهم وتعاونهم جميعًا على الآخذ والعطاء، يؤثر تأثيرًا إيجابيًا في العلاقة الزوجية، وتصبح عندها النفوس مستقرة تملؤها المحبة والمودة. »^(٢)

(١) أسرار الزواج السعيد - بشينة السيد العراقي - ص ٨٣ .

(٢) كيف تبني بيتًا سعيدًا - د / أكرم رضا - ص ١١٧، ١١٨ بتصرف يسير .

أمّا الخرافة التي تتداولها النساء، والتي تدفعهن إلى البقاء في حالة سلبية خشية أن يُساء بهن الظن، فيجب أن تتغير «فتواصل المرأة مع زوجها يكمل دورة التواصل الجنسي، ويحقق منتهى الإشباع للطرفين... بل يزيد من شعور كل منهما بحاجته للآخر بشدة، ويتجلى في الشعور العميق بالامتنان والشكر الذي يتبادله الزوجان...» (١).

عالم مغلق وسردفين:

غني عن القول أن ما يسعد كل زوجين، ويمتعهما قد يختلف من أسرة إلى أخرى، وهذا الباب سرٌّ لا مجال فيه لتبادل الخبرات ؛ لأن الخوض فيه منهيٌّ عنه بشكل مباشر في السنة النبوية وكشف لما يجب أن يبقى مستورًا محفوظًا، كما أن الكلام فيه، قد يضر ولا يفيد ؛ لأنه يخلق توقعات ومقارنات لا تُجدي لاختلاف الطبائع وما يستحسنه كل إنسان وما لا يستحسنه في هذه المساحة من الذوق المتفاوت بين الناس.

إلا أن هناك خطوطاً عامة نحرص على توجيه الزوجين لها في هذه المساحة من العلاقة التي نتحدث عنها:

– أن مداعبة ما بعد الجماع قد تكون باباً لحل مشكلات تأخر الشهوة عند المرأة أو سرعة القذف عند الرجل، مع عدم تجاهل محاولة علاج المشكلة الأصلية إذا كانت تحتاج لاستشارة نفسية أو طبية متخصصة.

– أن مداعبة ما بعد الجماع كما تحقق متعة أكيدة للمرأة، فإنها قد تكون ضرورية في حالات توتر الرجل وعجزه عن المعاشرة لأسباب نفسية عارضة أو تأخره في القذف أو فشله في الولوج بشكل كامل لإجهاده أو قلقه من أمر ما خارج العلاقة الزوجية – وهو ما يحدث في بعض الأحيان – وعندئذ تكون المداعبة أداة أساسية

(١) مشكلات وحلول – عبد الواحد علواني – ص ١٥٠ بتصرف .

لبث الثقة في نفسه، وإشعاره بالأمان والدفء والحب، واسترجاع الرغبة والقدرة، وإرسال رسالة حب قوية من الزوجة.

– أن المداعبة والكلام بعد الجماع، وفي مرحلة السكينة التي تعقبه هي مساحة مثالية للتعبير عن الرغبات الجنسية التي لم تتحقق أو التي قد ينجل أحد الطرفين في المطالبة بها في الأوقات العادية أو قبل اللقاء الزوجي، وبذلك يكون السياق ملائمًا لمناقشة ما قد يتردد الزوجان في مناقشته في لحظات أخرى.

– أن المداعبة بعد الجماع هي وسيلة مثالية لقول الكلام الجميل والتعبير عن الحب وكل المشاعر الجميلة التي قد تؤدي الرغبة الجنسية المشتعلة إلى تجاوزها إلى «الرفث» والكلام المثير، وبعد أن تهدأ عاصفة الشهوة يفسح المجال للقلب والروح للتعبير عن دواخل النفس وتبادل العبارات واللمسات العاطفية.

ولذلك، فإن نصيحتنا لك - أخي الزوج - هي:

لا تنزع حتى تُمتع..

تنمو أحاسيس الزوجين، وتبلغ ذروتها فتصير إيقاعًا من المتعة.. ولكن إيقاع المرأة أبطأ من إيقاع الرجل؛ ولذلك فإن من واجب الرجل أن يوقظ أحاسيس زوجته برعاية رقيقة لطيفة، ولا يهتم بنصر هزيل قوامه الخطف السريع، بل يهتم بالحصول على لذة إعطاء الحب ومباهجه..

وإذا كان التوافق الجنسي يستلزم أن يتم «التقديم» بالقبلة والكلام كما علمنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم -؛ كي يطول أمد الملاعبة، بما يمتع الزوجين، ويمهل المرأة حتى تستوفي الاستعداد للحظة المنشودة، فإن مما علمنا الرسول ﷺ أيضًا أن الرجل ينبغي لا «نزع» بعد الإنزال، بل يُتم الوصل حتى تقضي المرأة وطرها..

إن إدراك آفاق ومتعة هذه المرحلة في مسيرة الحب يضيف إلى متعة الزوجين مساحة أخرى، فالتودد والملاعبة والملاسة الرقيقة الحانية بعد انقضاء «اللحظة» كلها وسائل للمتعة تُهل المرأة، حتى يهبط منحنى متعتها في هدوء دون أن يتم كسره

فجأة، فتشعر بانقطاع اللذة الحاد والخواء فيفسد ذلك عليها مشاعر الاستمتاع، كما أن تبادل اللمسات والكلمات في فترة الخدر التي يمر بها الرجل بعد الإنزال يكون متعة صافية تحقق له سعادة هادئة لا عجلة فيها ولا فورة، بل رقة وتدليل وبث لمشاعر الحب الدافئة بالأنامل وبالكلمة شديدة الخصوصية والإسرار والسكينة.

وهذه هي الروح التي يجب أن تحكم علاقة الرجل بزوجه حين يُفضي بعضهم إلى بعض، فلا يفارق زوجته فور إشباعه هو، بل ينتظر إشباع زوجته، ويعطيها حقها في هذا الإشباع.. فالرسول ﷺ قد وصانا بهذا، فقال ﷺ: «إذا جامع أحدكم زوجته فليصدقها، فإن قضى قبل أن تقضي حاجتها؛ فليصبر حتى تقضي حاجتها» [رواه أبو يعلى في مسنده عن أنس].

إن الزوج إذا جامع امرأته، ولم يأبه بشعورها، ولا بمتعتها، ولا بقضاء وطرها، وإنما كان همه قضاء وطره وحده، دون اعتبار للطرف الآخر، فقد بالغ في هضمها حق من أهم حقوقها التي أوجبها الله تعالى وأوجبها رسوله ﷺ لها، ألا وهو الاستمتاع بالوطء وقضاء الوطر..

إنه «لا يكفي في حق الزوجة مجرد الجماع، فإنه أقل مراتب الاستمتاع بالنسبة لها، بل إن لها حقاً في حصول الإشباع، بحيث تصل إلى ذروة الاستمتاع بإنزال الماء». [المنى - فيض القدير. ج ١ ص ٣٢٥].

وتحصل لها درجة الإحصان التي تعفها عن الانحراف الخلقي.. وفي هذا يقول الرسول ﷺ مبيناً هذه القضية الزوجية الخاصة: «إذا جامع أحدكم أهله فليصدقها، ثم إذا قضى حاجته قبل أن تقضي حاجتها، فلا يُعجلها حتى تقضي حاجتها».. فيكون جماعها صادقاً ناصحاً، وهذا من تمام خلق الرجل الصالح، القادر جنسياً، فلا يفارقها حتى يعلم يقيناً بسكون غلمتها بالإنزال، وحصول درجة الإشباع الموجبة للمحبة بينهما، ودوام الألفة»^(١).

(١) أخلاق الفتاة الزوجية - د/ عدنان حسن باحارث - ص ١٤٧

ومما قاله الإمام أبي حامد الغزالي في هذا الشأن: «إذا قضى الرجل وطره ؛ فليتمهل على أهله حتى تقضي هي أيضاً نهمتها ؛ فإن إنزالها ربما يتأخر فتهيج شهوتها، ثم القعود عنها إيذاء لها».

والاختلاف في طبع الإنزال يوجب التنافر كلما كان الزوج سابقاً إلى الإنزال، والتوافق في وقت الإنزال ألدّ عندها، ليستغل الرجل بنفسه عنها، فإنها ربما تستحي...» (١)

إن من الأمور الطيبة ملاعبة الزوج لزوجته بعد الجماع، «وهذه الملاعبة عمل هام وضروري في العلاقة الحسية بين الزوج والزوجة ؛ ولكنه - مع الأسف - لا ينال إلا الإهمال !! فمن عادة الكثير من الرجال أن يتعدوا عن زوجاتهم بعد الجماع مباشرة، ولا سبب لذلك - غالباً - سوى الجهل أو الإهمال !!

يدير الزوج ظهره ويبدأ في الشخير، بينما تشعر زوجته بهبوط تشوقها الحسي تدريجياً، وبذلك يحرم الزوج نفسه من أعظم المتع العاطفية والنفسية، كما يفسد تأملات المرأة التي تحبه أشد الحب، إذ يظهر أنه لا يعرف شيئاً عن المرأة، وحنانها وحنوها الرقيق في الحب، وعن التقدير العظيم الذي يبعثه فيها الاستمتاع الحسي، وعن حاجتها إلى المداعبات والقُبْل والكلمات الحلوة التي تدوم زمناً أطول مما تدوم ذروة اللذة...

إن من واجب الزوج الاستمرار في إمتاع زوجته وملاعبتها بعد إشباع رغباته - وما أسهل هذا الواجب ! - يكفي منحها كلمة حب أو قبلة، أو لمسة رقيقة، أو عناقاً» (٢).

إنها المساحة التي ترتوي فيها الروح ويمتلئ فيها القلب بالدفء بعد قضاء الشهوة وفيها يتزوّد الزوجان بزادٍ من الرقة والمحبة الصافية.

(١) إحياء علوم الدين - أبو حامد الغزالي .

(٢) الزواج المثالي - فان دفلد - ص ٢٦٩ بتصرف .

فالمداعبة بعد الجماع باب لمتعة صافية ليس فيها توقع لأي شيء، بل هي تلذذ بدون توقعات أو انتظار للحظة بعينها، إنه التلذذ والتمتع الرقيق، الذي يثبت فيه كل طرف لشريكه مشاعره ويعبر له عن مكنون نفسه وخلاصة حبه..

ليس هذا فقط، بل تتعدى مداعبة الزوج لزوجته مرحلة ما بعد الاستمتاع بالجماع والوطء، أو المباشرة، إلى الاغتسال والتطهر من الجنابة..، وهو ما يمكن أن نطلق عليه..

حب ما بعد الجماع..

«وقد ضرب لنا النبي ﷺ - وهو المثل الأعلى لنا، وقدوتنا في ديننا ودنيانا - مثالا رائعا في هذا الجانب...»

أخرج مسلم (١ / ٢٥٧) : وحدثنا يحيى بن يحيى، أخبرنا أبو خيثمة، عن عاصم الأحول، عن معاذة، عن عائشة، قالت :

كنت أغتسل أنا ورسول الله ﷺ من إناء واحد بيني وبينه، فيبادرني، حتى أقول: دع لي، دع لي، قالت: وهما جنبان. [صحيح].

فقولها - رضي الله عنها - : فيبادرني، أي: فيسبقها في الأخذ من الماء يوهمها أنه يريد أن يستأثر به ﷺ مداعبة لها وملاعبة، فتقول له: دع لي، دع لي، أي: كأنها - رضي الله عنها - تريده أن يترك لها منه شيء تُتم به غسلها، وهذا كله من باب المزاح والمداعبة المحمودين، لما فيهما من زرع المحبة والألفة في نفس الزوج ونفس الزوجة..» (١)

والمداعبة قد تأخذ أية صورة يحبها ويتفق عليها الزوجان، وتحقق لهما المتعة والسعادة، ولا تقتصر على الفراش، بل قد تكون في الاغتسال معاً، أو غيره من أشكال التلطف والمداعبة التي يحبها الزوجان، وهي من أسرارها ولهما أن يبدعا فيها

(١) فقه المعاشرة الزوجية - عمر عبد المنعم سليم - ص ١١١، ١١٢

كما يجبان ما دامت تحقق لهما الإحصان والسكن وتخلو من محرمات حرّمها الله. « إن المرأة تحتاج مع الجنس إلى الغزل اللطيف، وإشباع رغبتها بسماع المديح والثناء لجمالها ورقتها وعذوبتها، ورغبة المرأة في ذلك أكثر من الرجل بكثير.. إن الجنس - ربما - يكون الهدف الأول للرجل، والغزل والعاطفة أمر ثانوية، أمّا بالنسبة للمرأة فالغزل والعاطفة الجياشة هو كل حياتها، بل - ربما - هدفها الأول، أمّا الجنس فيأتي في الدرجة الثانية أو الثالثة!! ولذلك فإن المرأة تحتاج من زوجها بعد الإنزال للمداعبة والملاطفة العاطفية، حتى تشعر بكامل اللذة، وإلا فإنها قد يستمر عطشها لهذا الإرواء العاطفي». (١)

حتى لا يتسرّب الملل..

كلنا يعلم أن العلاقة الجنسية هي غريزة مثل غريزة الطعام. يستطيع الإنسان أن يأكل من طعام يحبه يومًا أو يومين أو أكثر؛ ولكن بعد ذلك يضجر منه ويضجّ، ويطلب التغيير.. (٢)

وحين تحدث العلاقة الحسية الحميمية بنظام واحد لا يتغيّر، ودون تنويع في الإثارة الموضعية والإعجاب الحسي - فإن التخمّة الحسية والملل يخيمان على حياة الزوجين، وعلى شعورهما خلال بضع سنوات، ويهددان زواجهما بالخطر.

و مشكلة الملل مشكلة عامة كثيرة الحدوث للأزواج، وخاصة بعد أن يطول العهد بالزواج، لذلك نجدها قد تحدث بعد (٥ سنوات) من الزواج أو أكثر، وفي هذه الحالة نجد أن الأيام والأسابيع والأشهر تمرّ على الزوجين، وهما متحابان ولا توجد بينهما أية مشاكل، إلا أن الرغبة في الالتقاء تضعف، ويبدأ الشعور بأنه واجب لابد من عمله، أكثر من كونه دافعًا وحبًا وغريزة.

(١) من يريد الزواج .. وتزوج - فؤاد الصالح - ص ٢٧٦، ٢٧٧ بتصرف يسير.

(٢) كما حدث مع الأرنب الصغير الذي كان يشكو: "كل يوم خسّ وجزر"!

تمضي الأيام والعلاقة تضعف مع الزمن، واللقاء يتباعد يومًا بعد يوم، ولا يدري الزوج أو الزوجة ماذا يفعلان أو ما الذي أصابهما؟ هل هو مرض أو هو ضعف في حب أحدهما للآخر أو ماذا؟

ولكن.. يحدث أن يسافر الزوج للخارج؛ لعمل أو لتجارة ويعود بعد أسبوع أو أسبوعين فإذا باللقاء يتجدد والرغبة تقوى...!!

وهكذا تعود الحياة لهذا الحب من جديد، وتبقى الشحنة فترة من الزمن يعود بعدها الضعف ليدب من جديد وتكرر المشكلة التي حصلت منذ شهور.. إنه «الملل»!!

ولا يعالج الملل الناشئ عن العلاقة الحسية على وتيرة واحدة إلا التنويع، والانتقال بين الألوان الكثيرة من اللذة الحسية، والتي تدخل كلها في حيز المقبول شرعاً، وهي في ذات الوقت تُبعد الرتابة المتماثلة التي تبعث الضيق والملل، وبإبعاد هذه الطرق المملة تتلون العلاقات الزوجية بمفاتن جديدة وجميلة..

﴿فما ملامح التغيير المطلوب؟﴾

١- التغيير في النفس هو البداية..

فلا بد أن تجد الزوجة فن التغيير، التغيير في الملبس، والتغيير في الهيئة.. والزوج أيضاً عليه أن يغير من سلوكه تجاه رفيقة حياته، وتجديد طرق المجاملة لها، والتماس الوسيلة اللطيفة في اللفظ والتعبير ليعكس مشاعره، فمن غير المعقول أن يكف عن اللمسة الحانية، والكلمة المجاملة، والغزل اللطيف.. وعليه أيضاً الاهتمام بمظهره، فمن حق زوجته عليه أن يتجمل لها كما تتجمل له.

٢- التغيير في المكان والزمان..

بحيث يتغير موعد اللقاء ومكانه، فليس ضرورياً أن يكون التلاقي في ساعة متأخرة من الليل، بل قد يكون في الصباح أو بعد العصر...

فإن الإفضاء للآخر في العلاقة الزوجية ليس وقته الساعات المتأخرة فقط..
وقد ذكر ابن القيم - رحمه الله تعالى - في كتابه: [روضة المحبين] «إلى أن الجماع وقت النهار من أفضل الأوقات ؛ لأن النهار محل انتشار الحركات، والليل وقت تبرد فيه الحواس وتطلب حظها من السكون قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ﴾.. فقد يلتمس الزوجان ساعة مع مطلع اليوم، وهما في كامل النشاط لكي يعطي كل منهما للآخر في اكتمال انتباهه وتركيزه صافي مشاعره وكامل طاقته، ولتنوع توقيات اللقاء.. وأشكال الاستمتاع الحلال ليقطف الزوجان فواكه المتعة الحلال من شجرة الحب الصافي وتقر عين كل منهما بالآخر.

٣- التغيير في كيفية الأداء الجنسي:

فليس ضروريًا أن يلتزما هيئة واحدة، بل يمكن أن يبتكرا كل يوم هيئة جديدة..^(١) وهو ما أرشدت إليه الآية: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾..

﴿أَنَّى شِئْتُمْ﴾ جاء في اللسان لابن منظور: «أن كلمة (أَنَّى) تأتي لمعانٍ ثلاثة:
- كيف.. ومنه قوله تعالى: ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسَّ سِنِي بَشَرٌ قَالْ كَذَلِكَ﴾

- أين.. ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا ءَامَنَّا بِهِ وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاقُشُ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾
- متى.. ومن ذلك: سافر أنى شئت !

والله يخبرنا في القرآن: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾..

- كيف (للهيئة) !

- أين (للمكان) !

- متى (للزمان) !

(١) المفاتيح الذهبية في احتواء المشكلات الزوجية - نبيل بن محمد محمود - ص ١١٥ - ١١٧ بتصرف .

هكذا، في توجيه لطيف يفتح للزوجين آفاقاً، أبعد من الأداء الروتيني للقاء بينهما...

إنه توجيه يراعي فطرة البشر التي تحب التغيير والتجديد والتطور... وهي الفطرة التي جعلت بعض الصحابة - رضوان الله عليهم - يسلك هذا التغيير حتى خاف من كونه أحدث أو أذنّب..

فانطلق إلى رسول الله ﷺ يحدثه عن ذلك، فمرة جاء عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله هلكت، قال ما الذي أهلكك؟ قال: حولت رحلي البارحة، قال: فلم يرد عليه شيئاً. قال: فأوحى الله إلى رسول الله ﷺ هذه الآية ﴿سَأَوْكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنِّي شَتَمُ﴾ أي: «أقبل وأدبر واتق الدبر والحیضة»

الأمر الذي يدلنا على أن الفطرة البشرية تحب هذا التجديد والتغيير دون البقاء على رتابة واحدة، وأن هذا التغيير لما كان هو داعي الفطرة من أجل لقاء ممتع جاءت الشريعة لتؤكد على هذا..

إن المرء حين يقف عاجزاً عن التغيير فإنه ولا شك يفتر وينفر وينفر!!

وهكذا حتى في أدق أمور الحياة الزوجية وأشدّها حساسية وشفافية يأتي توجيه القرآن ليقم هذه الحياة من التصدع..

فأحسن «أشكال الجماع أن يعلو الرجل المرأة، مستفرشاً لها، بعد الملاعبة والقبلة، وبهذا سُميت المرأة فراشاً، كما قال ﷺ: «الولد للفراش»، ومنها قول النبي ﷺ: إذا جلس بين شعبها الأربع...

ففي الحديث معنى أن من أوضاع الجماع الجلوس بين الشعب الأربع، وهو أن يعلوها فيصبح بين يديها ورجليها...» (١).

(١) زاد المعاد - ابن القيم - ج ٤ / ٢٥٥.

وهناك أشكال أخرى للجماع، منها:

إتيان المرأة وهي على جنبها..

وقد «وكان أهل الكتاب إنما يأتون النساء على جنوبهن على حرف، ويقولون: هو أيسر للمرأة».

ومن ذلك: إتيان المرأة في قُبْلِها من دبرها..

وهو الذي كانت تقول فيه اليهود إن الرجل إذا أتى امرأته على هذا الوضع ؛ جاء ابنه أحول، فكذبهم الله تعالى، وأنزل قوله الكريم _ وهو أعز من قائل _ : ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾ .

وقد أخرج البخاري (٣ / ٢٠٢): حدثنا أبو نعيم، حدثنا سفيان، عن ابن المنكدر، سمعت جابرًا - رضي الله عنه - قال: كانت اليهود تقول: إذا جامعها من ورائها جاء الولد أحول، فنزلت: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾^(١).

ولا شك أن في هذا التعبير ﴿حَرْثٌ لَّكُمْ﴾ «ما فيه من إشارات إلى طبيعة تلك العلاقة في هذا الجانب وإلى أهدافها واتجاهاتها..

فمناسبة السياق هنا مناسبة إخصاب وتوالد ونماء، ومادام حرثاً فأتوه بالطريقة التي تشاءون ؛ ولكن في موضع الإخصاب الذي يحقق غاية الحرث...

قال ابن عباس: الحرث موضع الولد ﴿فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾ _ أي: كيف شئتم، مقبلةً ومدبرةً في صمام واحد _ . روى البخاري عن جابر _ رضي الله عنه _ قال: كانت اليهود تقول: إذا جامعها من ورائها ؛ جاء الولد أحول، فنزلت: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾ قال ابن جريج في الحديث: فقال رسول الله ﷺ: «مقبلة ومدبرة إذا كان ذلك في الفرج»^(٢).

(١) المصدر السابق - ج ٤ / ٢٥٦ .

(٢) راجع "إن شئت" تفسير الآية - في ظلال القرآن .

لقد كان من نتائج عدم التزام الأزواج بهذا الإرشاد الرباني ﴿أَفَنِي شَتْمٌ﴾ أن (دخلت عبارة البرود الجنسي إلى مفرداتنا البيتية كمسوغ للعديد من الأخطاء والمشكلات القديمة والمستجدة، وبدلاً من أن تكون بوابة لتقويم العلاقة الزوجية، أصبحت عبئاً إضافياً يُثقل كاهل الحياة المشتركة... فقد يتهم زوج زوجته بالبرود، وينسى أنه قد يكون هو المقبل عليها أكثر مما يجب.. حتى باتت تمله وتمل علاقتهما معاً؛ لأنها تريد منه أن يحفل بها كشريكة لحياته بجوانبها.. أن يشركها في القرار، وأن يثق برأيها، وهو أيضاً يطلب - غالباً - أن تكون مهتمة بحياته كلها، لا امتلاء معدته وقضاء شهوته فحسب...!!

وحقيقة كلما تنوعت مسارب العلاقة بين الزوجين، كلما توثقت صلتها ببعضهما ببعض..

..... إن الضغط الاجتماعي الذي يعيشه الكثير من الناس يجعل الجنس - أحياناً - متنفساً للتخفيف من أعباء الحياة والشعور بالاغتراب والهزيمة...!!، فيمل الطرف الآخر أو لا يستجيب، فتكون تهمة البرود الجنسي جاهزة...!! غالباً من الزوج للزوجة!!

أو ربما على العكس، ينشغل الزوج بتأمين الحياة المناسبة مما يجعله يتهم زوجته بالشبق الزائد!!!^(١).

ولاشك أنه «حتى لا تُصاب الحياة الزوجية بالملل، فإن على الزوجين أن يُجددا ويُنوعا دائماً في طريقة الجماع باستخدام الوضعيات المتنوعة، والأوقات المختلفة، والأماكن الجميلة والكلمات الممتعة».^(٢)

.. حتى لا يتسرب إليهم الملل!!

(١) مشكلات وحلول - عبد الواحد علواني - ص ١٠٧ - ١٠٩ بتصرف .

(٢) لمن يريد الزواج .. وتزوج - فؤاد الصالح - ص ٢٨٠، ٢٨١

وبعد..

فقد يرى البعض أن من ألوان اللذة الحسية.. النظر إلى عورة شريك الحياة.. أو مص الثدي.. أو تقبيل الفرج!! فهل هذه الأمور مما يحل شرعاً؟
«الذي عليه أكثر أهل العلم: أن للرجل أن ينظر إلى عُرْيَةِ زوجته، وأن يرى فرجها، وعورتها، بجماع أو بغيره، لحاجة، ولغير حاجة، وأنه يجوز للمرأة أن ترى منه ذلك أيضاً دون أدنى حرج، والأدلة على ذلك كثيرة، منها:

ما أخرجه البخاري - رحمه الله - في صحيحه (١ / ١١٤)

حدثنا قبيصة، قال: حدثنا سفيان، عن منصور، عن إبراهيم، عن الأسود، عن عائشة، قالت: «كنت أغتسل أنا والنبي ﷺ من إناء واحد كلانا جنب».

قال الحافظ ابن حجر: (فتح الباري ١ / ٢٩٠): «استدل به الداودي على جواز نظر الرجل إلى عورة امرأته وعكسه، وما رواه ابن حبان من طريق سليمان بن موسى، أنه سُئِلَ عن الرجل ينظر إلى فرج امرأته، فقال: سألت عطاء، فقال: سألت عائشة، فذكرت هذا الحديث بمعناه، وهو نص في المسألة».

وأخرج أحمد (٥ / ٣): حدثنا يحيى بن سعيد، وإسماعيل بن إبراهيم، عن بهر بن حكيم، قال: حدثني أبي، عن جدي، قال: قلت: يا رسول الله! عوراتنا، ما نأتي منها؟ وما نذر؟ قال: «احفظ عورتك إلا من زوجتك، أو مما ملكت يمينك»..

قال ابن القطان الفاسي - رحمه الله -: «لا يحرم على أحد الزوجين إبداء شيء لصاحبه من نفسه، لحديث بهز بن حكيم... ولا خلاف فيه».

وسئل الشيخ القرضاوي - حفظه الله - عن قضية الرضاع من الزوجة؟

فقال: «لقد حدث هذا في عصر الصحابة أن واحد من الصحابة في ملاعبته ومداعبته لزوجته امتص ثديها، ورضع منها أي جاءه شيء من الحليب، ثم راح استفتي سيدنا أبا موسى الأشعري، فقال له: حرمت عليك..

(١) فقه المعاشرة الزوجية - عمر عبد المنعم سليم - ص ٩٠ - ٩٢ بتصرف يسير .

ثم ذهب إلى عبد الله بن مسعود فقال له: لا شيء عليك، لا رضاعة إلا في الحولين، الحديث عن الرسول ﷺ: «الرضاع في الحولين»، الله تعالى يقول: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنَمِّ الرِّضَاعَةَ﴾ يعني: الرضاعة المحرمة لها سن معينة، هي السن التي يتكون فيها الإنسان ينبت اللحم، وينشد العظم في السنتين الأوائل، بعد ذلك لا عبرة بالرضاعة.. فقال أبو موسى الأشعري: لا تسألوني وهذا الخبر فيكم.

فللمرجل أن يرضع من زوجته، هذا من وسائل الاستمتاع المشروعة ولا حرج فيها».

وردًا على سؤال يقول: هل يجوز الاستمتاع بالملامسة بالنم بين الزوجين كل منهما عورة الآخر؟
قال الشيخ القرضاوي:

... جاء عن عائشة وعن أم سلمة وعن ميمونة - رضي الله عنهم جميعاً - أنهم كُنَّ يَغْتَسِلْنَ مع رسول الله ﷺ من إناء واحد، وكان مجرداً من الإزار.
وقالت ميمونة أنه أخذ من الإناء بيمينه، وصب على شماله، وغسل فرجه ؛ ولذلك جاء في صحيح ابن حبان أن أحد التابعين، سأل عطاء بن رباح، وهو من أئمة التابعين، سألته: هل يجوز للمرأة أن تنظر إلى فرج زوجها؟ فقال له: سألتُ عائشة - رضي الله عنها - فذكرت لي هذا الحديث وهو حديث «كُنَّا نَغْتَسِلُ مع رسول الله في إناء واحد...».

.... **وسئل أبو حنيفة في هذا في باب المذهب نفسه: هل يجوز للرجل أن يمس فرج امرأته، أو المرأة أن تمس فرج زوجها؟**

قال: نعم ولعله أعظم للأجر. وأعتقد أن هذا ما يشير إليه الحديث «وفي بُضْع

(٢) د. يوسف القرضاوي - برنامج الشريعة والحياة - قناة الجزيرة - راجع "إن شئت" موقع فضيلته

أحدكم صدقة» فإذا كان هذا يحرك المرأة لزوجها والزوج لزوجته فهذا حتى لا يفكر الإنسان في الحرام، الإنسان إذا شبع جنسيًا، مما أحل الله له سواء كان الرجل أو المرأة فهو لم يعد يفكر في الحرام، إنما النقص في هذه الناحية هو الذي يسبب هذه المشكلة..

وأما أمر تقبيل الفرج، فإن « المرأة لو قبّلت فرج زوجها، ولو قبّل الزوج فرج زوجته هذا لا حرج فيه.. إنما هذا شيء يستقذره الإنسان، وإنما لا نستطيع أن نحرمه خصوصًا إذا كان برضا المرأة وتلذذ به»، ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۖ عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۚ﴾ (٦) فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۚ﴾ فهذا هو الأصل (١).

«ومن المسائل التي ذكرت ضمن مصنفات أهل العلم في هذا الباب: حكم مس فرج المرأة أو فرج الرجل وتقبيله؟

فقال البهوتي الحنبلي: [هامش: كشف القناع ٥ / ٢٠٩.. وكذا نصّ عليه عبد الرحمن بن محمد في حاشيته على «الروض المربع» ٢٣٨ / ٦٠٠].
«قال القاضي أبو يعلى من الحنابلة: يجوز تقبيل فرج المرأة قبل الجماع، ويكره بعده».

-مسألة لمس فرج المرأة وفرج الرجل:

-ومن تفريعات المسألة السابقة حكم مص ذكر الرجل وفرج المرأة ولحسهما، هل يجوز أم يحرم، أم يكره؟

والذي تدل عليه الأدلة أنه جائز، وأنه لا يخالف الفطر السليمة، ولا يكون سببًا لخوارم المروءة..

(١) المصدر السابق ..

وقد قال القرطبي في تفسيره (١٢ / ٢٣١) : «اختلف الناس في جواز نظر الرجل إلى فرج المرأة، على قولين: أحدهما: يجوز.... وقد قال أصبغ من علمائنا: يجوز له أن يلحسه بلسانه».^(١)

... ربما ظن البعض عند قراءة هذه الكلمات أنها تنافي مكارم الأخلاق، أو أنها دليل الانحطاط والفجور!! وربما اعتقدت بعض الزوجات أنها أسمى من ذلك بكثير!! ويعرف هؤلاء جميعاً أن هذه الكلمات لا تأتي إلا بنتيجة واحدة، هي أن يبحث الزوج عن مفاتن جديدة خارج بيته، ومن ثم يكون الفجور الحقيقي والانحطاط الواقعي!!!

فليكن شعارنا في ممارسة هذه العلاقة الحميمة هو: استمتاع دون إفراط، وكفاية دون مبالغة

ولتندكر دائماً أن:

العلاقة الحسية بين الزوج والزوجة هي إحدى أركان الزواج الناجح، ولا بد أن يكون هذا الركن متين البناء، وأن يُشيد بمهارة عظيمة؛ لأنه يرفع جزءاً هاماً، من ثقل بناء بيت الزوجية.. ولأنه حين يضعف أو يُصبح رديء التكوين؛ فإن هذا البناء سرعان ما ينهار!! وأن من أهم السبل إلى بنائه، العلم المأخوذ من ينابيع المعرفة في القرآن والسنة.. تلك الينابيع التي جهلها الكثيرون منا، فحل محلها عندهم ما هو شائع ودارج في ثقافتنا المحلية!!.. ومن ثم فقدوا الكثير من الوسائل الشرعية إلى إحياء الانسجام من خلال حميمية اللقاء الزوجي.



(١) فقه المعاشرة الزوجية - عمر عبد المنعم سليم - ص ١٢٦، ١٢٧، ولزيد من التفاصيل حول هذه الأمور، راجع - إن شئت - دليل المتزوجين إلى حياة جنسية سعيدة - د. أحمد طه حواس، و"هدية كل عروس - الشيخ / محمد بن رزق طرهوني.

